

دليل

# عبرون يسير

أنت تعلم أن تاريخ مصر  
أخبرنا ونمنا ووثقنا به مع أمة عمره  
أدلى إلى الأبد

— — —

- هي قصة الحب العربية احادة التي اصررت لك الحب امدوى الطم  
"تاريخ مع تصوير وتفسير الك اعماف والاصول رانه نام  
والتمتع بها أحلى من دقة من أشهر رمانى سب  
محمدره رددت عار حبه امة

— — —

صحة راحة  
أنت تعلم أن تاريخ مصر  
أخبرنا ونمنا ووثقنا به مع أمة عمره

## مجنون ليلى

كان في زمن خلافة عبد الملك بن مروان رجل من أهل المتأخر وأصحاب المناصب والمآثر يقال له الملوخ بن مزاحم ، وكان من سادات بني عامر وله من الأولاد الذكور ثلاثة أنفار كأنهم البدور وكل بالأدب مذكور ومشهور ، ومنهم قيس وهو صاحب هذا الديوان الذي اشتهر بالعشيق وحسن السريرة وكان أصغر إخوته عمراً وأغلامهم همه وأزفدهم قدراً ، وأفصحهم كلاماً وأجودهم نظماً ونراً وأعلمهم بالأدب وأخبار العرب وكان مع هذه الأوصاف جميل المنظر على الهمة فصيح الكلام طويل القوام كأنه البدر التمام ، حافظ زمام الاحتشام قد نطق بالشعر وهو ابن سبعة أعوام وكان أعز أخوته عند أبيه نظراً لأوصافه وحسن مساعية لأنه قد حاز جميع الصفات البديعة وحبيبته هي ليلى بنت المهدي تتصل بنسبه في كعب بن ربيعة وكنيتها أم مالك بدليل قوله :

تكاد بلاد الله يأم مالك بما رحبت يوماً على تضيق

وكانت سمراء اللون قصيرة القامة فصيحة الكلام وعلى خدها الأيمن شامة وكان سبب عشقه لها أنه ركب يوماً على ناقه له وخرج من الحى على سبيل النزهة والتسيير وعليه حلتان من الديباج والحرير فأقبل على بعض القدران فوجد عليه جماعة من البنات والنساء فياهن بالسلام وتكلم معهن بأفصح كلام وأعجبهن غاية الإعجاب واستدعيته للحديث والخطاب وكانت ليلى من جملة من فنزل وجلس معهن وحمل يحادثهن ويقلب طرفه عليهن حتى وقفت عينه على ليلى فافتتن بها واندحش وخفق فؤاده وأرتعش وقال لمن هل عندك من شيء من الطعام ، قالت لا يا ابن الكرام ، فعمد إلى الناقة فنحرها وأضرم النار وأخذ يشاغلها بالحديث والأخبار ومناشدة الأشعار وهو شاخص فيها دون باقي النساء ثم قال لها أتأكلين الشواء قالت نعم أيها السيد المحترم ، فطرح الناقة على الجمر في الحال وقد اعتراه الخيال وتضعضت منه الأحوال من شدة الوجد والبلبال ، فقالت له ليلى انظر

إلى اللحم هل تضح أم لا ، فتقدم إلى الحجر وقبضه بكتنا يديه وسقط على وجه  
الأرض معشياً عليه فأكل الحجر لحم راحته .  
فلما رآته على تلك الحال مدت إليه ذراعها وشدت يده يهدب فباعها  
وعلمت أنه غرق في بحر هواها وقد اشتهاها وتمناها ، فغير لون وجبها من  
شدة الحياء وأقام قيس معهن كل ذلك اليوم إلى المساء ثم ذهب وهو على  
غير الاستواء من تباريح الوجد والهوى ، فلما جن الليل أخذ في الابتكار  
وصرف ليلة بالبكاء ومناشدة الأشعار فمن ذلك قوله :

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا	لى الليل هزتنى إليك المضاجع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى	ويجمعنى الليل الذى هو جامع
إذا مر يوم من حياتى ولا أرى	خيالك ياليلى فعمرى ضائع
تضيق على الأرض حتى كأنى	من الصبر فى سجن فما أنا صانع

( قال الراوى ) فلما كان ثانى الايام استدعته للنادمة والكلام وقد  
داخلها الحب والغرام لأنها كانت مغرمة بأحاديث الناس وأشعارهم وكان  
هو عارفاً بأيام العرب وأخبارهم فتمكنت بينهما المحبة والمودة حتى لم يستطع  
فراقها ساعة واحدة هذا ، هو المشهور فى كيفية عشقتهما حسب ما ذكرناه ،  
وزعم البعض أن سبب وقوع الهوى بينهما خلاف ما أوردناه وهو أنهما  
قد كانا صغيرين يرعيان الغنم بدليل قوله :

تعشقت ليلى وهى غر صغيرة	ولم يبد الأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت إننا	إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

فتحابا ومضى على ذلك برهة وهما بأطيب عيش ونزهة ثم حجبت عنه  
كما سيأتى الخبر وجرى عليه ما لم يجر على قلب بشر ، وعلى كلتا الحالتين عرف  
كل منهما ما عند الآخر ، وكان قيس يذهب فى كل يوم إلى بيتها فيقف عنده  
حتى يراها ، فيشكو إليها ما عنده من حبا وهواها ، ولم يكن دأبه إلا البكاء .



تشكو ماله عندها من الشوق إلى رؤياه ، وأنها لا تميل إلى أحد سواه .  
فلما سمع كلامها طاب قلبه وزال غمه وكربه هذا وقد انتهى بالحدِيث مع  
بعضهما البعض حتى امتلأ الإناه وصار السمن يقطر على الأرض ، وما زال  
يتحدثان نحو ساعة من الزمان إلى أن غرقت أرجلها بالسمن ولا يعلمان ،  
وكان أبوها قد استبطأها مصاح عليها ونادها فلم تقبته إليه ولا ردت عليه ،  
فخرج ليكشف الخبر وقد أنكر أمرها فوجدهما على تلك الحالة المتقدم  
ذكرها ، فاستعظم ذلك الأمر ثم منعها الزيارة في الليل والنهار وحجبها عنه  
خوفاً من المضحية والدار ، فكان يغنم غنمة الرقيب ويجتمع بها فيطفي ما بقلبه  
من نار اللهب . فلما باغى ذلك شكاه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان وأعلمه  
بذلك الشأن ، فكتب إلى عامله الذي كان وثياً على القوم يأمره بقتله إدا هو  
زورها بعد ذلك اليوم ، ولما قرأوا عليه الكتاب ووقف على حقيقة الخطاب  
تنهد وتحسر وأشد وقال :

لئن حجت ليلي وآلى أميرها على يميناً جاهداً لا أزورها

على غير شيء غير أني أحبها وأر فؤادي عند أبي سميرها

ولما نُس من زيارتها أحذه اقلق والوسواس حتى أشرف على زوال  
عته وصار مثلاً بين الناس ، فأقبل عليه أبوه وبسوعمه وإخوته ومن يلوذ  
به من أهله وخلانهم وقالوا له يا قيس اتق الله وأعرض عن هذه الجارية  
راسلها واعلم أنك إن دمت على هذه الحال أتلفت مهجتك وهوها ونساء  
العرب كثيرات وفيهن من تضاهى البدور الراهرات فأحب من هي أحسن  
مها وإنك في غنى عنها فقد همتك حالك بين الأهل والخلان وصرت مثلاً  
بين القبائل والعربان . فلما ألحوا عليه بالكلام قال دعوني يا قوم من اهتمت  
بالإسلام لا أختار امرأة عليها ولا أميل إلا إليها ثم أشد :



أن وقع مغشياً عليه ، فقدمت ورشت له الماء وقيلته بين عينيه ، فلما أفاق  
أثمد وقال .

أفوق عن طلاب العبد إن كنت تمقل  
تصاديك في ليلى ظلام مضلل  
فصبرك فيما لا يدانيك أجمل  
وأنت ليلى مستهام موكل  
إليك ولكن أنت باللوم تعجل  
لعل إلى أمام ليلى تعال  
فقلت أحل حاشاك إن كنت تعجل  
تبرو وفي بالعهود وأوصال  
ولا ذنب لي ليلى وصفحك أجمل  
ومن شئت قتلا من حكت أعدك  
ويبي إذا ما جى النابض أصول  
وعيشاه من رحد عاينهم تهم  
ألى لك - ساد - محمد بن محمد

أفوق عن طلاب العبد إن كنت تمقل  
تصاديك في ليلى ظلام مضلل  
فصبرك فيما لا يدانيك أجمل  
وأنت ليلى مستهام موكل  
إليك ولكن أنت باللوم تعجل  
لعل إلى أمام ليلى تعال  
فقلت أحل حاشاك إن كنت تعجل  
تبرو وفي بالعهود وأوصال  
ولا ذنب لي ليلى وصفحك أجمل  
ومن شئت قتلا من حكت أعدك  
ويبي إذا ما جى النابض أصول  
وعيشاه من رحد عاينهم تهم  
ألى لك - ساد - محمد بن محمد

أفوق عن طلاب العبد إن كنت تمقل  
تصاديك في ليلى ظلام مضلل  
فصبرك فيما لا يدانيك أجمل  
وأنت ليلى مستهام موكل  
إليك ولكن أنت باللوم تعجل  
لعل إلى أمام ليلى تعال  
فقلت أحل حاشاك إن كنت تعجل  
تبرو وفي بالعهود وأوصال  
ولا ذنب لي ليلى وصفحك أجمل  
ومن شئت قتلا من حكت أعدك  
ويبي إذا ما جى النابض أصول  
وعيشاه من رحد عاينهم تهم  
ألى لك - ساد - محمد بن محمد

أفوق عن طلاب العبد إن كنت تمقل  
تصاديك في ليلى ظلام مضلل  
فصبرك فيما لا يدانيك أجمل  
وأنت ليلى مستهام موكل  
إليك ولكن أنت باللوم تعجل  
لعل إلى أمام ليلى تعال  
فقلت أحل حاشاك إن كنت تعجل  
تبرو وفي بالعهود وأوصال  
ولا ذنب لي ليلى وصفحك أجمل  
ومن شئت قتلا من حكت أعدك  
ويبي إذا ما جى النابض أصول  
وعيشاه من رحد عاينهم تهم  
ألى لك - ساد - محمد بن محمد

صريع من الحب المبرح والهوى  
بكى لى يا ليلي الفؤاد وإنه  
لعمرك ما لاقى جميل بن معمر  
ولم يلق قابوس وقيس وعروة  
صبا يوسف واستشعر الحب قلبه  
وبشر وهند ثم سعد ووامق  
وهاروت لاقى من جوى الحب علة  
ولم يخل منه المصطفى سيد الورى  
أبيت صريع الحب دام من الهوى  
ولو لا طروق الليل أودت بنفسه  
بذا هي رادت في النوى راد في الهوى  
أعارت أنفاس أصب بك صبوة  
ألا أن دمع الصب عما يجنه  
سان عي في الهوى وهو الخلق  
وكيف يضيق الصب كتمان سره  
وقال الأري وأقام فيس بعد ذلك أياماً وهو يبكا بد ألم الفراق وفي ذات  
يوم ركب ناقته وصار ضالماً زياراً ليلي في ذلك المكان ، فوجد الحى خائياً  
من أسكن له يد مع فيه صوت إنسان سوى صياح البوم وتعبق الغربان  
جلس بهضم إلى مراندالير أن وينشأ من في تقابلات الزمان ، فمزد ذلك زادت  
نور الين الين لى دارين قفراً وكى بكاء مرأ وأنشد :

وسأروا بدليلي والسكران كى طلع  
فمرصاتها في سائر أركان نفع  
أطير ببيكها رعير يسجع  
فيا للعند من صبوة كيف أصمع

لا يظنه من أن رحلوا  
غبار ليلي صبوة أهرت  
يرجع عيرها لغير من جنبات  
أمر من لى حيا طلابها



أتبع ليلى حيث راحت وخيمت      وما الناس إلا آلف ومودع  
فإن يك جمانى بأرض بعيدة      فإن فؤادى عندك الدهر أجمع  
ألا تتقين الله في قتل عاشق      له كبد حرى عليك تقطع  
غريب مشوق مولع بدياركم      وكل غريب الدار بالشوق موع  
فأصبحت بما أوقع الدهر موجعاً      وكنت لريب الدهر لا أتضع  
قنعت بلحظ منك ليلى وإنما      ينال المنى من كان باللحظ يقنع  
أبيت بروح الطريق كأننى      أحو خيل أوصاله تنقطع

(قال الراوى) وبينما هو على تلك الحال وإذا براع يرمى غنمه في ذلك

أخى مقصده حتى وصل إليه نسلم عليه وسأله عن أخبار القوم فقال له :  
رحلوا إلى جبل توباد في صباح ذلك اليوم ، فسار وهو منزع الفؤاد حتى  
أقبل على جبل توباد وكان ذلك الوقت في آخر النهار فوجده خالياً من  
الرجال ليس فيه إلا النساء والبنات الأبقار ، وبلغ ليلى قدومه من بعض  
الجوارى فداخها الفرح والاسمير فخرجت إلى منسقاء ردى لانه يق  
أن تراه ، فلما وصلت إليه سلت عليه فابتهج وانشرح وكاد يطير من الفرح  
وأخذ كل منهما يتسكوا ما هو فيه من ألم الفراق والضوى وتمايح الوجوه  
والجوى ، ثم قالت له في آخر كلام كيف كان صبرك عني يا قيس في هذه  
الأيام ، فقال لها والله بأمية القلب والروح أنتى بن جنين ليس لك عنك  
صبر ولا سوان وقد أقلتني الوجد والهيام من كثرة الأفكار وسهر الليل  
والهار حتى لم يبق لي هدوء ولا اصطبار ولا أقتت في مكان وفرى قرار  
وما تركت زيارتك إلا خوفاً عليك من الأعداء اللثام الذين ليس همومهم  
ولا ذمام ، بن زيارتك تنجلي همومى وتنقضى غمومى ، وانشرح صدرى  
رتصفو مرآة فكري تم بكى وأنشد يقول :

أبا نس رند الين يقنح في صدرى      ونار الأسى ترمى فؤادى بهجر  
هو الله ما أنساك ، هبت الصبا      وما ناحت الأعيار في وضوح المنجر

وما نطقت بالليل سارية القطا وما صدحت في الصبح غادية الكدر  
وما لاح نجم في السماء وما بكت مطوقة شجراً على قن السدر  
وما طلعت شمس لدى كل شارق وما هطلت عين على واضح النحر  
فأقسم لا أنساك ما ذر كوكب وما خب آل في معلية قفر  
فلما سمعت منه هذه الأبيات بكيت وضمته إلى صدرها وأنشدت :

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني - حلول بقلبي من هواك قديم  
وينفي جفاك النوم من كل لذة ويقلقني ذكراك وهو عظيم  
ثم ودعها وسار خوفاً من قدوم الرجال وفي رجوعه إلى أهله أنشد وقال :  
حلا ذكر الأحبة في فوادي فهمت من الغرام بكل واد  
وقد باحت بأسراري دموعي وجفني قد جفا طيب الرقاد  
وكم ناديت بين خيام ليلى - وكم في حيا مثلى ينادي  
أنا المضي فجودي لي بوصل فقد زاد السقام إلى السهاد  
وكم أجريت يوم البين دمعاً - على الخدين كالسحب الغوادي  
فما أحلى التهنك في حماها - حماها الله من كيد الأعداي  
عسى بالوصل أحظى قبل موتي وأفرح باللقا بعد السعاد  
( وقال أيضاً )

إذا نظرت نحوى تكلم طرفها - فجاوبها طرفي ونحن سكوت  
ولو خلط السم المذاب بريقها - وأسقيت منه نهلة لبريت  
( وقال أيضاً )

ولو شهدتني حين تأتي منيتي - جلا سكرات الموت عى كلامها  
فيا ليتنا نجيا جميعاً وإن نمت - تجاور في الملوكي عظامها  
( قال الراوي ) وجد قيس في قطع الطريق وهو مسرور بذلك اتوفق  
حتى أقبل إلى الديار والشوق في قلبه كلهيب النار، فلما دخل إلى الخيام قدمت  
له أمه شيئاً من الطعام فأبى ولم يأكل ولا عرفت عينه المنهم بل قضى ليله

في البكاء والترواح إلى أن بدت غرة الصباح ، فلما رآه أبوه على تلك الحال وقد  
 تغير جسمه واعتراه الهزال رثى لحاله وخاف من نزوح باله وقال يا ولدي  
 ويا مهجة كبدي ارجع عن هذا الأمر واقبل النصيحة فقد هتكت نفسك  
 وصرت مثلاً بين الوري وأحدونه لكل من يسمع ويرى ، فكم قد نصحتك  
 وأنت لم تسمع وأزدك فلم ترجع وكل ذلك من أجل جارية من بنات العرب  
 وهي دونك في الحسب والنسب ، وأنا أشير عليك الآن ألا تذكرها بشفة  
 ولا بلسان فإن حديثك قد شاع بين جميع العربان واشتهر في كل مكان ،  
 فاذكر الله وتب إليه بما أنت عليه . فلما سمع من أبيه ذلك الخطاب تغلب  
 عليه الحزن والاكتئاب وقال له كلما حدثتني بهذا الكلام ازداد بي العشق  
 والغرام ثم هاجت به الأشواق وغلبت عليه غصه الفراق ، فبكى وانتحب  
 وقاض دمه وانسكب ، واشتدل قلبه واتهب وأنشد يقول :

وكم قاتل لي اسل عنها بغيرها	وذلك من قول الوشاة عجيب
فقلت وعيني تستهل دموعها	وقلبي بأكفاف الحبيب يذوب
لئن كان لي قلب يذوب بذكرها	وقلب بأخرى إنها لقلوب
ويا ليل جودي بالوصال فإني	بحبك رهن والفؤاد كئيب
فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها	من الوجد قد جادت عليك تذوب
وألقي من الوجد المبرح سورة	لها بين جلدي والعظام ديب
وأنى لأستحيبك حتى كأنما	على بظهر الغيب منك رقيب

( قال الراوى ) فبكى أهله رحمة له وطلبوا من الله أن يعافيه بما ابتلاه .

فلما سمع كلامهم تنفس الصعداء وتهد وأشار إليهم وأنشد :

لقد لامني في حب ليلي أقاربي	أبي وابن عمي وابن خالي وخاليا
يقولون ليلي أهل بيت عداوة	بنفسي ليلي من عدو وماليا
أرى أهل ليلي لا يريدون بيعها	بشيء ولا أهلي يريدونها ليا

إليها وما قد حل بي ودهانيا  
فتى دنفاً أمسى من الصبر عارياً  
وهذا قبصى من الحزن باليا  
أبيت سخين العين حيران باكياً  
أنادى إلهى قد لقيت الدواهيا  
بضىء سناه فى الدجى متسامياً  
وسادى لعل النوم يذهب مايبا  
نتيجة صوء الشمس منى سلاميا

فليت نسيم الريح أدى تحينى  
فيا عجباً بمن يلوم على الهوى  
وهيرات أسلو من الوجد والهوى  
معذبتى لولاك ما كنت هاتماً  
أبيت ضجيع الهم ما طعم الكرى  
بساخرة العينين كالشمس وجهها  
خليلى هدا لى فرائى وارفعاً  
رإن مت من داء الصباية بلغاً

( وقال أيضاً )

فى عشق من لا ترى فى وصلها طامعا  
سبلا على الخند هطالا ومندهوما  
هكذا البكاء لصب مرجع فجعا  
لر كان صخرة صماء لا تصدعا  
لقد نى الله عنه الهم والوجعا  
إلا ترقرق دمع العين واندهما  
حتى إذا قلت هدا صادق نزعا  
أو يمنع الوجد فيها غير ما صنعا  
ولو صحا القلب عنها كانى تبعاً  
أحب شىء إلى الإنسان ما منعاً  
بصوته فى ظلام الليل حين دعا  
فصان من حجر الياقوت بدقطعا  
والله ما هجمت عين وما هجما  
يتلو الزبور ونجم الصبح قد طلعا

ما بال قلبك يا مجنون قد هاعا  
يقول صحى ودمع العين منحدر  
ظالما أبكى ولم أسمع بمنزلة  
سقت كفووا بن القلب زيجكم  
طوبى لمن أنت ياليلى قرينته  
فما ترات كتاباً منك يبلغنى  
دعوا إلى هجرها قلبى فيتبعنى  
لا يستطيع نزوعاً عن مودتها  
كم من وى لها قد كنت أتبعه  
تزيدنى كلفاً فى الحب إن منعت  
وها تف من فنان الأيك أزجنى  
كأن عينيه من حسن احمرارهما  
يدعو حمامته طير وقد هجمت  
كأنه راهب فى رأس صومعة

ما زال مذكان طفلاً يسكن البيعا  
قد كان يخفضها طويلاً ويرتفعها  
قل العزاء وأبدى القلب ماجزعا  
وإن أراد وقوعاً قلبه وقعا  
ترجع إلى وكل الطير قد رجعا  
عند الفراق بوجد قط ما فجعا  
حتى رأيت عمود الصبح قد سطعا  
والحمد لله شكراً للذي صنعنا  
لا بارك الله فيمن خان أو قطعنا  
وأيس يوصل رأس بعد ما قطعنا  
فلا يضع جميل أينما زرعنا

أوقس دير تلامزمارة سحرا  
فالريح تخفضه حيناً وترفعه  
فقلت يا طير ما هذا البكاء وقد  
إن طرت طار معى كى لا يفارقنى  
وقد دعانى به ريب المنون ولم  
وكل إلف يبكى إلف صاحبه  
وكنت أبكى ونار الوجد تعلقنى  
فالحمد لله أبكاني وأضحكنى  
نحفظ صديقتك لا تقطع مودته  
إن المنازل تبني بعد ما خربت  
إزرع جميلاً ولو في غير موضعه

( وقال أيضاً )

وبيربح لم يسمع من هبوب  
وكاد جلاميد الصحور تذوب  
رايتنى قتل للرجل خلوب  
بغضى أما في العاذلين نيب  
فما موت متلى في هواك عجيب  
ذكرتك لم تكتب على ذنوب  
عن العهد مكم ما أقام عسيب

ولو أن ماى باخصى بق لخصى  
ولو أن ماى بالجاء لهدمت  
تذكرنى ليلى على بها دارها  
فويل على العفان ما تركوتى  
فإن عشت لا أبغى سواك وإن أمت  
ولو أنى أسغصر انه كلما  
فدومى على عهدى ولست بزائل

( قال الراوى ) وما زال قيس على مثل هذا الشأن مدة من الزمان ، وهو يكابد الوجد والهيان ، وقد تملبت عليه الهموم والأحزان وكان كثيراً ما يجول في الملوات يندب نذب الثالكات ، ويمر بين أشجار الغضا ، ويتوغل في الملا والفضا ، حتى صار في حالة الذل والويل من كثرة البكاء

وحمر الليل واتفق أنه مر يوماً في بعض الكتيبان فرأى أن رجلاً نصب  
شركاً لصيد الغزلان ، قدنا منه وحياء بالسلام وقال له عندك شيء من الطعام  
فقال إتي بعيد الديار مسافة نصف نهار ، وقد نصبت أشراكي في هذه الرابي  
فاصبر قليلا واطرد على الظبا ، فان اصطدنا بلغنا المراد وسددنا رمق القواد ،  
لأنتي من نحو يومين ما استطعتم بزاد ، فينما هو عنده إذ وقعت بالشرك  
ظبية فوثب قيس إليها وقبلها بين عينيها ثم أطلقها وأشار يقول :

أيا شبه ليلى لا تراعى قاني	لك اليوم من دون الوحوش صديق
ويا شبه ليلى لو توقفت ساعة	عليها سحب هاطل وبروق
ويا شبه ليلى لو توقفت ساعة	لعل فوادى من جواه يفيق
أقول وقد أطلقها من وثاقها	فأنت لليلي إن شكرت طليق
فبيناك عيناها وجيدك جيدها	سوى أن عظم الساق منك دقيق
تكاد بلاد الله يا أم مالك	بما رحبت يوماً على تضيق
توق إليها النفس ثم أردتها	حياء ومثلي بالحياء خليق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنتي	حبيب وانى للحبيب مشوق
أروم سلو النفس عنك وما لها	إلى أحد إلا إليك طريق

فاستشاط الصياد غضباً وتغيرت منه الأحوال واعتراه الانزهاال ، وقال  
يا هذا ماهذه الفعال التي لم يسبق إليها أحد من الجهال ، فقد من الله علينا بما  
كنا نتمناه ، فأحرمتنا إياه ، فقال له قيس وقد اشتد به جواه وعظم مصابه  
وبلاه ، لا تلتني فإن عينيها تشبه عيني من أهواه ، ثم تركه وسار يحول  
في تلك القفار ، وإذا به يرى ظبية أخرى وأسرع نحوها وقبض عليها ومسح  
التراب عن وجهها وقرنيها وبعد ذلك أطلقها وأشار يقول :

أذهني في حراسة الرحمن أنت مني في ذمة وأمان  
لا تخافي ولا تخافي بسوء ماتعني الحمام في الأغصان

(وقال أيضاً)

أقول لطبي مربي وهو رائع أنت أخو ليلى يقال يقال  
أياشبه ليلى إن ليلى مريضة وأنت صحيح إن ذا الحال  
(قال الراوي) وكانت ليلى قد مرضت مرضاً شديداً، فلما بلغه الخبر  
خفق فؤاده وتكدر، وأخذته القاق والضجر، وأنشد يقول :  
يقولون ليلى بالعراق مريضة فإلك لا تضني وأنت صديق



( قيس، وليلى يتناحيان ) بريشة أمير عباس

مرقي الله مرضى بالعراق فإني  
فإن تلك ليلى بالعراق مريضة  
أهم بأقطار البلاد وعرضها  
كأن فؤادي فيه نار تمادحت  
على كل مرضى بالعراق شفيق  
فإني في بحر العرام غريق  
ومالي إلى ليلى الغدة طريق  
وفيه هيب ماطع وبروق

إذا ذكرتها النفس ماتت صباية  
سبتنى شمس تخجل الشمس نورها  
غراية الفرعين بدرية النسا  
وقدصرت مجنوناً من الحب هائماً  
برى حبها جسمى وقابى ومهجنى  
فلا تدلوا بل إن هاكك ترجموا  
وخصوا على قبرى إذ مات أسطراً  
إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى  
لها زفرة قتالة وشهيق  
ويكسف ضوء البدر وهو شروق  
ومنظرها بادي الجمال أنيق  
كأنى عان فى القيود وثيق  
فلم يبق إلا أعظم وعروف  
على قنقد النفس ليس يعوق  
قتيل لحاظ مات وهو عشيق  
بايلى فى قلبى جوى وحريق  
(وقال أيضاً)

لا إن ليلي بالعراق مريضة  
فوكيت يا مجنون تضى من الهوى  
وقال الراوى) ومررجى ذات يوم بليلى وهى واقفة على باب حباها رهى  
تد تعافت من عياها ، فهالت له ياهذا إلى أين أنت سائر ؟ فقال لها إلى ديار  
هى غار ، ونهت وكنت وأنت رايتك وأنشدت بقول :

يا ركب المزجى مطيه  
فأرى الناس من وجد تضمنه  
هوى زمام راقى فى مودتها  
وردت إلى آخر الأيام احتهد  
عرج لأبيء عنى بعض ما أجد

وقال الراوى : فاستفق لرجل عليها وتقدم إليها وقال لها حياك الله يا حرة  
عرب هل لك من صبابة إن كنت من أهل المروءة وكرم الأخلاق والفتوة  
وعمن هذه العجوة زاجر كسرى الملهوف وهو أنك متى وصلت إلى  
بها ... ..  
مى ... ..



وهي لا تلتذ بطعام ولا تذوق أجفانها المنام وقد سارت ميلا بين النساء في سائر  
الأنحاء ثم كتبت له رقعة ضمنتها هذه الأبيات :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك بلوم  
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم  
ولو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا . بجسمي من قول الوشاة كلوم  
سار الرجل طالباً حتى بنى عامر حتى وصل إليه واستدل على قيس فدلوه عليه  
فخياه بالسلام وحدثه بما قانته ليلي على المنام . فلما سمع قيس شعر ليلي أن أنين  
الشكلى ثم تنهد من فؤاده متبول وكتب إليها مع ذلك الرجل يقول :

وأنت التي كلفتني دلج السرى وأحدثت جرح القلب وهو كليم  
وأنت التي قطعت قلبي صباية وقرقت دمع العين وهو سجرم  
وأنت التي أغضبت قومي فكاهم بعيد الرضى داني القطوف كظهير  
ثم خرج تجول في نواحي ذلك الوطن إذ مر به سرب من القطا فمأرا .  
أشد يقول :

شكوت إلى سرب القطا إذ مررتني  
أسرب القطا هل من معير جناحه  
وأى قطاة لم يعرني جناحها  
وإلا فمن هذا يؤدي رسالي  
إلى الله أشكو صبوتي بعد كربتي  
فإن لم أمت هما وغماً وكربة  
إذا جلسوا في مجلسي هدر وادمي  
ودون دمي هز الرماح كأنها  
أرى النوم يأتي دون ليلي كأنما  
هفسي أسيراً مستهماً فإنه

فقلت ومثلي ألكاه جدير  
لعلني إلى من قد هوبت أطيير  
وعاشت نصر والجناح كبير  
وأشكره إن المحب شكور  
ونيران شوق ما بين فتور  
يعاودني بعد الزفير زهير  
وكيف تراها عند ذاك تجير  
توقد جمر ثاقب وسعير  
أني دون ليلي حجة وشهور  
إلى ذاك منكم وارحمه فقير

طوت أم عمرو بعد نأى ركبها  
وجالت جبال البعد بيني وبينها  
قطعن الحصى والرمل حتى تفلقت  
سلوا أم عمرو هل ينول عاشق  
ألا قل لليلي هل تراها مجبرتي  
أظل بحزن أن تغنت حمامة  
بكت حين در الشوق لي وترنمت  
أينذهب عقلي بعد حلمي رفد علا  
ومستجيلي بعد التحلم نسوة  
تعودن قنبل المسلين كأننا

(قال الراوي) ثم مضى على وجهه وأوسع في القنار فبينما هو يدور إذ  
طبار يجاوب بعضها بعضاً على غصون الأشجار فنامنا وأنتد بقول  
فإني إلى أصواتك حنون  
راست بأسرار لحن أمين  
شرب مداماً أو من حنون  
سكين فيه تدمع لحن أمين  
مثل نوح الثالعات أمين  
رواجف قلب بات وهو حنون  
أطير ودهري عندهم أنور

(وقال أيضاً)

أجسدك يا حمامات بقوق  
أترك يا حمامات طريقي  
ورن في شكاة أقبلت حنون

هذه ديوانة هذقوة حنون  
بأنى لا ألام وتمجديتها  
رأت في شكائك فكانت

وإني قد براني الحب حتى  
أراك الله في محلك السلامي  
ولست وإن حننت أشد وجرأ  
وي مثل الذي بك غير أي  
أما والله غير قلى وبغض  
لقد جعلت دواوين الغرائي  
فقدما كنت أرجى الناس عندي  
إلا لا تنسين روعات قلبى  
فبينما هو على مثل ذلك هبت ريح من نحو أرض نجد فراج به الغراد  
الوجود بأشد وقال :

وقد زادتى سر الك وجرأ على وجد  
لو انقضوا عهدى حفظت لهم ودى  
سحاب غواد خبايات من الرعد  
على فمن عض النباتات من الرند  
جليد أرائيت الذى ما كن أبدي  
نمامية راسمناق قلبى إلى نجد  
كانت فلا يقرب أسلو ولا ابعد  
وأرواحه إن كان نجد على العبد  
وإن بخلت لو وعدت على الوعد  
عمل وإن المأى يشفى من الوجد  
على أن قرب الدار حير من البعد  
إذا كان من ترواه ليس لى ود  
وعظمه عليه الحور و أشد وقت  
فويحك خبرنى به أنت تصرح

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد  
رعى الله من نجد أناساً أحبهم  
سقى الله نجه أو المقيم بأرضها  
إذا هتفت وورقاه فى رونتق اضحى  
تكيت كما يسكى الوليد ولم أزل  
وأصبحت قد قضيت كل نياه  
وإن قربت دار بكيت وإن نأت  
ألا حينذا نجد وطيب ترابه  
إذا وعدت زاد اهوى لا تظارها  
وقد زعموا أن المحب إذا دنأ  
بكل تداوينا ولم يشف ما ينأ  
على أن قرب الدار ليس بشفع  
بم به غراب يخفق فواده ررتب  
ألا يا غراب أمين هيجت أوعتى

أبالبين من ليلى فإن كنت صادقاً  
ولا زال رام فيك فوق سهامه  
ولا زلت من عذاب المياه مبقراً  
فان طرت أردتك الختوف وإن تقع  
وعابنت قبل الموت لحك مشدخاً  
ولا زلت في شر تعذاب مخلدأ

ولا زال عظم من جناحيك يفسخ  
ولا أنت في عيش ولا أنت تفرخ  
ووكرك مهتماً وبيضك يرضخ  
تقيض ثعبان بوجهك يفتح  
على جمر حرائر يشوى ويطبخ  
وريشك منتوف وجلدك يساح

( قال الراوى ) ولما جن عليه الظلام ارتد راجعاً إلى الخيام وبات في غلق شديد وغم ما عليه من مزيد . ولما كان الصبح رجع إلى ما كان عليه من "كاه" ، الواح وقال وما زال على تلك الحال حتى ضعف جسمه واعتل ، وكاد عقله من شدة الؤسواس أن يختل ويبيع لبلى الخبر وأخذها القلق وضجر ، واضر ونوحاً وتغير . وفاض دمعها على حديها ونحور ، رويحت على أركانها وسهر وجرى غايها . ثم يجرى عن تاب وشر فكلمت إليه مع من تعتمد عليه أيها الخبيب والسيد الأديب مهجة الفؤاد وزينة الأجر . ثم سائر الأثر بالكمال وحين الخصال ، وحفظ العمود والذمام والمحبة الصالحة الخاتمة من الآتام ، لقد بلغنى ما أنت فيه من الشوق والعرام وأوجيد والهيام ومكابدة "سهر" وعجيران الطعام واحتمال كلام اللوم حتى اعتراك الهزال وصرت ناحلاً كالتخيل وحيث الحالة هذه ناحصر نصف الليل إلى وادى "الاراك" وأنا أراؤيك إلى هناك ولو خاطرت بنفسى في هواك فلا يساوى لذة رؤياك ونختمت كلامها بهذين البيتين :

يا ميسيتى أنت مقصودى ومطلوبى  
وأنت رغماً عن الأعداء محبوبى  
إن تحتجب عن عيون أصب يا أملى  
ما أنت عن قلبى المضى بمحجوب

( قال الراوى ) وثنا بنغ قيساً هذه الرسالة ووقف على فحوى تلك المقالة اشرح صدره واستراح وحفت عنه بعض الأتراح وأنشد وقال :

تعود من يصبأ أسقمته بهجرها  
ولو عاودته عاد لا يعرف السقما

أضربت بالقلب ناراً من الجوى      فما تركت عظما ولا تركت لحما  
وإني على هجرانها وصدورها      وما حل بي منها أرى عنها حتما  
خليلي كما لا تلوما متيما      ولا تقتلا صبا بلومكما ظلما

( قال الراوى ) تم انه قصد ذلك المكان وفي قلبه لهيب النيران إلى أن وصل إلى تلك الأرض عند إفوال الظلام ، فجلس وهو يتأدس في الرابي والآكام إلى أن انتصف ظلام الليل ونالا نجم سهيل ، فعند ذلك زاد به القلق والسوت والأرق ، فارتعس فؤاده وحقق ووقع على وجه الأرض ونهق ، وإذا بليلى قد أقبلت فتمت إليه وسلمت عليه وقبلته في عارضيه وبين عينييه ، لما رأته فرح و . بسروا ان تسمه انغم واضجر فنهض في الحال وجلس وردت روحه إليه بعد أن كان على آخر نفس لأن العاشق لا يبرأ إلا بنظر الحبيب ، إذ رآه ذئب مابقله من النهيب . ثم قالت له لقد بلغنى ما أنت به من الهم والحزن حتى ضعفت جسمك ونهيت أرن وجهك بعد ذلك الحس وذئك كما ، لأحلى ملاكك أما رلا كان أهلى . فله لها وحق من يقول للمتوء كن ويكون ننى منذ فارقتك لالآن لم تغمض لى جفون ، بل كنت أهيم مع الوحرش فى البرارى و قمار شد الأفسار وأقتنى الآثار وألقى نفسى فى المهالك والأخطار وأصل اللين بالهار ، ولا يطيب لى عيش ولا يقر لى قرار . حتى نصرت الأمل مى وانقلبت القلوب عنى وكنت كلما ذكرتك خفق فؤادى وغاب رشادى وتلبلل خاطرى واشتعلت سرائرى إلى أن اضمحل جسمى من الهزال وداب من شدة الوجد والابال لأن ملك الهوى عنيد وقيد أشد من لائل الحديد والآن قد انحلت عن قلبى الكروب وانشرح صدرى برؤيتك بعد أن كان متعوب ، ثم غلب عليه جواه وتذكر ما فاساه فتأوه وتهد وأشار إليها وأشد :

هو الله لا أدرى علام هجرتى      وأى أموريك ياليل أركب

أقطع جبل النوصل فالموت دونه  
فلو كان لي قلبان عشت بواحد  
رمتني يد الأيام عن قوس حمة  
كعصفورة في كف طفل بهيها  
ولا اطمئن ذو عقل يرق لحاها  
وأشرب كأساً عليهما ليس يشرب  
وأبقيت قلباً في هواك يعذب  
لا العيش يصفه لي ولا الموت بقرب  
نقاسي عذاب الموت والطفل يلعب  
ولا الطيرء طلق الجناح فيذهب

( قال لراوى ) هذا تهي قيس من أبياته تساقط دمه على وحياته  
وقالت له جزاك الله خيراً ولا أراك سوءاً ولا ضيراً ، ثم فاضت عيناه  
بالدموع وتنفست من هوان موجدوع و أشمت :

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى  
تقطع من وحد و داب حديده  
ثلاثون يوه كل يوه ربيعة  
بأر عن ركناه صفا وحديده  
وأعسى تراه الأمين وهم عمده  
موت وأحيا إن ذا لشديد

( قال الراوى ) ثم أنها حدثته بحاها وما أصابها من أجله ركيب خاخر -  
مفسها حمة وبه وأنها تحبه واشتبهه ، قال ومارال قيس يحادث لبي ، يتذمر  
بالضر إلى أن مضى وقت سحر ولاح ضوء النهار وظهر فحمد ذلك ودعته  
ورجعت على الأثر حرداً من أن يراها أحد من البتر ، ورجع هو يطلب  
طلابه والديار وفي قلبه من أجلها لرتعج من نار وهر يشد ويقول :

لقد أرسلت لبي إلى رسوما  
خئت على خوف وكنت معوذ  
فت ورات له هسه ربية  
وكيف عزى قيس تم، حلكاً  
هو أمر تدع الحزم أهدم -  
ولو مسحت ، لذهب أعشى لأدست  
مدمة تسب أحبيد بوجوماً  
أن آما سرراً إذا للين أظنا  
أحاذر أيقاظاً عداة وبوم  
ولم تتبع يا صاح والله محرم  
وقد أوريثت في نقاب دام مكتما  
وبو كلمت ميتة إذا أتت كلما  
عصا وشيكاً ثم عاد بلا عبي  
تزين مرء عفة وتكرما

بتلك التي لم يكن داء دواؤه وهاروت كل السحر منها تعلما

(وقال أيضاً)

سأبكي على ما فات من صباية وأندب أيام السرور الذواهب  
رأيت عيني أن تاد بغيركم وإني وإن جابت غير بجانب  
وخير زمان كنت أرجو ديوه رمتنا عيون الناس من كل جانب  
فأصبحت مرحوها وكنت محبداً وصبراً على مكروهما والعواقب

(وقال أيضاً)

رمسى من لا زلي أن أعاجره ومن أمانى أيسور وامسرذا كره  
من أحل أحبت من لا يحسى وبفصحت من تراكمت حيناً أعاشره  
ألا يشناه نفساً تسعد الدوى ونجوى فؤادي لا نباح سرائره  
أحملك يا ألي على غير رية وما خير حب لا تعرف ضمائره  
وقد كان قلب في حجاب بكه فبك من دون الحجاب يباشره  
اصبر يا صبراً في أروى رفيت من أولي عدو أحادره

(وقال أيضاً)

بصاه أكرها أهديم كأمها قمر توسط حفرح أيسر أسود  
درسومة بأحسن دات حواسد إن الحسود مطنة أعتسد  
زترى راهها ترفق مقلة سوداء ترعب عن سواد الإند  
عود إذ كثر الكلام تودت بحمي الحياء وإن تكلم تقصد

(وقال أيضاً)

من ألو، يحمد رأى لأيسر طوال الليالي من قصول إلى مجد  
أنا لا أرى رأيتك واعترف سحر إلى يوم القيامة والوعد  
وما ذرت سباً كليلي دمر وشوقه إذ أيسمر حتى علاه أثير واس ونترك محادثة  
أنا رخرجهما، حود القيام فكما لا ينس قريصاً إلا حرفه ولا ثوماً إلا مزقه

كان كثيراً ما يطوف في البراري والهضاب ويكتب الشعر بإغصبه في الأرض على التراب ودمعه يجري على خديه مثل قطار السحاب ، ولما طال عليه الحال رقت له قلوب الرجال وأقبل منهم جماعة على أبيه وقالوا له أخرجنا إلى مكة يطوف بالبيت لعن الله يعافيه وعن حب ليلى يسليه فأجابهم إلى ذلك وامتلأ وسار إلى مكة على عجل فلما قدموا به قال له أبوه يا قيس تعلق بأستار الكعبة ففعل فقال اللهم يا من احتجب عن عبود العالم بما كان بما يكون أرحه من حب ليلى وأزل عن هذا الجنون ، فقال قيس أيها الإله الحى القادر على كل شئ إني تائب إليك من جميع أخطائي والذنب إلا عن حب ليلى وذكرها فإني لا أتوب ، ثم تأوه وتهد وتبسم الصعداء وأنشد :

دعا المحرمون الله يستغفرونه	بمسكة شعناً كي تمحي ذنوبها
وزيدت : يا رحمن . أرتى بقى	لنفسى ليلى هم أمت حسيبها
يقولون أتأت عن حب ليلى وذكرها	وتلك لعمرى توبة لا أتوبها
يقر لعيني قربها ويزيدنى	بها عجباً من كان عندي يعيها
في نفس عميراً أنت رأيت ذلك	بأرأى نفس غاب عنها حبيها

والجمع أروه هذه الأبيات مهملات منه العبرات ثم أخذه بده إلى محفل من ثرجان رسأه أن يدع له الفرج والخلاص من هذه الحال ، فلما أخذ ليس في الدعاء له أنشد وقال :

ذكرتك والحجيج له ضجيج	بمسكة والقلوب لها وحيب
فصفت ونحن في حرام	به ته أحلصت أقاوب
أتوب إليك رحمن	حيات فقد تكارت الذوب
واسع هوى يبي رة كي	ربرت ما يفتى لا أتوب
تكميم وعده أي ردين	أرتى إليك منها أو تيب

رقا - أروى ثم ترك إباءه وأخرم ونهزم وقصد البراري والأكم



فتبعه أبوه وجماعة من قومه حتى أدركوه . وأرادوا أن يربطوه بالحبال ويكتفوه ، فقال لهم بالله عليكم تمهلوا على قلبلا فإن قلبي أضحى عليلاً ثم صاح صيحة عظيمة وأشد يقول :

أحقاً عباد الله أن لست صادرا      ولا وارداً إلا على رقيب  
ولا جالساً وحدي ولا في جملة      من الناس إلا قيل أنت مريب  
وهل ريبة في أن تحن نجية      إلى ألفها أو أن يحن نجيب  
وكيف أعزى القلب بعد فراقها      وأنى على طول الزمان حبيب  
(وقال أيضاً)

إلى الله أشكو وقد ليلى كما شكاً      إلى الله فقد الوالدين يتيم  
يتيم جفاه الأقربون معظمه      كسير وقد الوالدين عظيم  
بكت كبدى من ففدها وتهللت      دموعى كما ضل فهو سجوم  
وإن زماناً فرق الله بيننا      وبينك ياليلى فذاك مشوم  
دعوتى فما عن رأيكم كان جهها      ونكده حظ لها وقسيم  
(وقال أيضاً )

يا هجر ليلى قد بعثت في الهوى      وردت على ما لم يكن بهج الفجر  
عجبت لسمى الدهر بيني وبينها      لما انتضى ما بيننا سكن الدهر  
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة      وبساوة الأيام موعدهك الخشر  
تكاد يدي تمدى إذا بالمستها      وينبت في أطرافها الررق الخضر  
ورجه له ديباجة قرنية      به تكشف البلوى ويستنزل القطار  
ريهتر ن تحت الثيب قوامها      كما حتر غصن المان وثمن التمر  
يا حمداً الأحياء ما دامت نهم      رباحيد الأموات إن ضمك التبر  
إني لتعورنى نذكراك ذممه      كما انتفضر انصفرد بالله القطر  
تسمى ان حبه حزاره عتبرنا حورت      زيارت ليلى أن بكرن أما لأجر

فأهت لا عرف أأدى ولا نكر  
 فلو أن مابى بالحصى فلق الحصى  
 فلو أن مابى بالوحوش لما رعت  
 فلو أن مابى بالبحار لما جرت  
 بالصخرة الصماء لا تصدع الصخر  
 ولا ساغها الماء النير ولا الزهر  
 بأواجها بحر إذا زخر البحر

(قال الراوى) فبكى أبوه شفقة عليه وهطلت دموعه على وجنتيه ، ثم اعتنقه وقبله بين عينيه وقال له يا ولدى إلى متى وأنت فى هذا الشقاء العظيم والبلاء الجسم ، أما كفناك الجولان فى القفار وعدم الهجوع والقرار وسهر الليل والنهار ، حتى عدت النشاط وصرت كل يوم فى ضعف وانحطاط ، فإن بقيت على مثل هذه الحال لاتزال فى انهزال وانحلال لأنه ليس فى ذلك إلا إضاعة العمر والمصير إلى المهالك ، فعدمعى الآن إلى بنى عامر وكن منشرح الصدر مطمئن خاطر وأنا أتلافى هذه القصة وأزوجك بليلى وأزيل عنك هذه الغصة قال :

وما زال أبوه يشاغله بالأحاديث اللطيفة والعبارات الظريفة إلى أن راق ولان ورجع معه إلى الأوطان وزالت عنه الغموم والأحزان وفرح به الأهل والخلان وصار عند أبيه فى أعلى درجة وأرفع مكان ، فهذا ما كان منه وما جرى له من مكابدة العشق وحر الصباية والوله . وأما من كان من ليلى فإنه قد شاع ذكرها بالآفاق وتحدثت فيها الناس فى الحجاز وبلاد نجد والعراق ، وتناشدوا ما قال فيها قيس بن الأشعار الرقاق ، التى لم يسبقه إليها أحد من فحول الشعراء والعشاق ، فكان كل واحد يود أن ينظر ويتمنى أن يراها ويبصرها فترادفت عليها الخطاب وكثرت عليها الطلاب ودخلوا على أبيها فى ذلك من كل باب ، وكان من جهاتهم رجل من بنى ثقيف يقال له سعد بن المنيف وكان أعظم من طلبها قدراً وأحفظهم ذكراً فاستشار الأب ابنته ليلى وأظهر له رغبته فى ذلك المولى وقال لها قد انتشر صيتك فى بلاد العرب

وخطبك من السادات أصحاب المناصب والرتب ، وأنا أصدك كل طالب ولا  
أصغى لخطبة خاطب خوفاً من زوج دميم الأخلاق قبيح السيرة كرام المناق  
لا تقدرين على معاشرته وتتبعين في مرافقته ، إلى أن خطبك هذا الإنسان  
وهو من أكابر هذا الزمان وعمدة الزوات والأعيان كثير المال محمود الخصال  
عبد تحلى بالأدب والجمال واتصف بالهمة العالية والكمال وقد أجبتة إلى هذا السؤال  
وأزوجك إياه دون بقية الرجال لأنه لا بد للمرأة من زوج يلها فيسترها  
ويفرج همها ، فلما سمعت ليلى من أيها ذلك الخطاب ، أظهرت الكدر  
والاكتئاب وعظم عليها ذلك الأمر واكتوى قلبها بلهيب الجمر لأن هذا  
الخبر لا يوافق غرضها ولا يشق غلتها ومرضاها لأنها كانت تحب قيساً وتميل  
إليه ولا يستقر خاطرها إلا عليه نظراً لما بينهما من المحبة القديمة والصداقة  
القوية فأنت ولم تقبل وفضلت حلول الأجل وقالت هذا أمر لا يتم أبداً  
ولو مت قهراً وكهدأ ، فلما سمع كلامها وعلم ما في ضميرها ومرامها تهددها  
ودار به الغيظ ، فلطمها فاجتمع عليه الجيران والأهل والخلان فلما رأت  
ما حل بها من الهوان وإن موج البلايا أحاط بها من كل مكان أجابت سؤله  
بالكره والإجبار لا بالطوع والاختيار ثم ندمت على زواجها غاية الندم  
وجرى قلم القضاء بما حكم ، وصارت محبتها له تكلفاً ورؤيتها إياه تعسفاً  
فكان لا يقرب لها قرار ولا يطيب لها عيش لا بالليل ولا بالنهار . قال ولما  
بلغ قيساً هذا الخبر اضطرب وتحرق قلبه والتهب واستولى عليه الجنون  
بعد الهدوء والسكون وأشد يقول :

وقد خبروني أن ليلى تزوجت      ولا بد لي من أن ألقى حليها  
فإن كان مثلي لم ألمها على الهوى      وإن كان دوني بمس ما قد قضى لها  
وإن كان من أوباش ما حوت القرى      لقد تعست ليلى وأضنت خليلها

( وقال أيضاً )

حبيب تآى عنى الزمان بقربه      فصيرنى فرداً بغير حبيب  
على قلب محزون ونفس مدله      ووحشة مهجور وذل غريب  
فياحقب الأيام هل فيك مطمع      لرد حبيب أو لدفع كرب

ثم خنفته العبرة وزادت عليه الحال ، ونفجج يهيم في الصحارى والتلال  
ويطوف في قتل الجبال ويتحمل المشقات والأثقال ، ويقتحم الموارد حتى  
ضعف جسمه من شدة الانتحال . وجف جده على عظمه لقوة الهزان وشق  
على الأهل والجيران والأصدقاء والمثقالن وقاوا لآبائه وأنت تحمله وترضه  
على طبيب ربما انتفع بعلاجه وتعود صحته إليه عن قريب ، فامتثل وخرج  
إلى الصحراء في طلبه حتى اجتمع به ، فلاظنه بالكلام ولاقاه بالبشاشة  
والإكرام ثم إنه سار به إلى تريب في تلك الأطراف يقال له علقمة بن  
عساف وهو في بلاد "عرب مشهور يمايل كل مجنون ومسحور . فلما دحس عليه  
حدثه بقصة ولده على التمام وما هو فيه من العشق والغرام وكيف أنه قد حمل  
نفسه مالا يراه إلى أن أتته سهام وأصنادير صدر عبدة لمن يراه بعد ما كان  
فريد زمانه ورحيم دهره وأوازه وفاق بالفصحى والآداب سائر أقرانه ،  
فعند ذلك أخذ "حبيب يسقياً تسوية بعد شربة ، ويكرهه في ألاجبه ، فلما  
أكثر داء ، المتل أنشد وقال :

ألا يا طبيب الجن ربيحك داوئى	فإن ضبيب الإنس أعياء دائماً
أنتيت لبيب الإنس تسيخاً مداوياً	بمكة يعطى في الدواء الأمانيا
عقلت له يا دهم حكمتك ، حقهكم	إذا ما كنت يمت يوم يا دهم ما بين
نقير نير بأ بارد آتى في حاجة	زشرح فيه سلوة وسنة نيب
تفدت دسرفنى نير يسعون نيرة	أحدث رب الناس منك سارياً
فقات نغواء الحلب نير يرقى الموت	باحتماء من تهورى إذا كنت خالي

قال الطيب نعم ليس للعاشق الكتيب دواء إلا منادمة الحبيب ، فإذا  
حصل على ذلك الغرض زال عنه ذلك المرض هذا وقيس بعض على السانه  
وشفتيه حتى كاد من فرط الحزن يقطعهما ، ثم نهض وخرج على وجهه  
هائماً في الفلوات ، فبينما هو يدور رأى ناراً في بعض الجهات فدنا ، وإذا  
حولها قوم رعاة فأنشده وقال :

رعاة الليل ما فعل الصباح ، وما فعلت أوائله الملاح  
وما بال النجوم معلقات بقلب الصب ليس لها براح  
كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلي العامرية أو يراح  
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح  
رعاة الليل كونوا كيف شئتم فقد أودى بي الحب المتاح  
( وقال أيضاً )

ذكرت عشيّة الصدفين ليلى وكل الدهر ذاكرها جديد  
إذا حال الغراب الجون دوني فمقبي إلى ليلى بعيد  
على ألية إن كنت أدري أينقص حب ليلى أو يزيد  
لها في طرفها لحطات حتف تميمت بها وتحني من تريد  
وإن غضبت رأيت الناس هلكي وإن رضيت فأرواح تعود  
( وقال أيضاً )

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصلا فقالوا نريد الماء نسقي ونستقي  
فإن لميب النار بين جوانحي فقالوا نريد الماء نسقي ونستقي  
فقالوا أين الزهر قلت مدامعى فقالوا ولم سندا فقلت من الهوى  
فقالوا لم تعبرنوا وجهاً لليلي شعاعه فقالوا الصطلوا إن خفتهم القمر من صدرى  
إذا ذكرت ليلى أحر من الجمر فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري  
سيغنيكم دمـع الجنون عن الحفر فقالوا الحاك الله قامت اسمعوا عندي  
إذا برزت يغني عن الشمس والبدر

سُر بوهي خاطر فيؤودها  
معمة نُو قابل البدر وجهها  
هلاية الاعل ماطحة الذرى  
مسة هيماء مهضومة الحنسا  
ويحرحها دون العيان لها فكروى  
لكان له فضل مدين على المدر  
مرجوحة السفلى مرفقة في الخمس  
موردة الخدير واضحة الثمر

سدملجة السافين بضئى بضيفة  
 فقالوا أجمون فقلت موسوس  
 ولا ملك الموت المريح يريحي  
 ورحمت بوتك البين منها حمامه  
 عني دوحه تست تحت أصواها  
 مطرقة طوقاً ترى في خطاهما  
 أرت أعنى لصوت مها فريحت  
 وقتك لها عودى قلب ترنمت  
 كان فوادي حين حدمسرها  
 هودعتما وإنما تقمذح في احد  
 ورحمت كأنى بهم راحته جفها  
 أنت صريح الحب دام من الوري  
 رمثى يد الأيام عن قوس عره  
 سمين مسموين من رأس شاهق  
 سدى دعير في الهوى تتأ  
 وركت بار كمت من ماء مزنة  
 لو كمت ايلا كمت ابل توصل  
 عيت سلام الله يا غاية المسى

مفلجة الانياب مصقولة الحجر  
 أطوف بطهر البيد قفراً إلى قفر  
 ولا أنا ذو عيش ولا أنا ذو صبر  
 اغت بليزل في درى ناعم صر  
 نواقع ماء مده رضم الصحر  
 أصول سواد مطمن على البحر  
 ثوآداً معى بالمبيحه او تدرى  
 تادرت العينان سحاً على الصدر  
 حياح عرب رة نضاً إلى الوكر  
 وتودعهم عادى أهر من مص  
 بقيت دم الحبات حين نهى عمرى  
 وأصبح مروع الواد من الصدر  
 سهبى عسرتني ربي ، جرى  
 معدرت محم الثراب والجر  
 هت لا ياني ليز ترى  
 ولو كمت يوماً كمت من غموة الصحر  
 وأو كمت بجما كمت برالدحمى يسرى  
 وقالمتى حتى التيامة والختبر

وقال أيضاً:

لا حمت ابى بأب لا أحما  
 الذى لا يعلم عيب غيره  
 فى رادى دى من الطور عده  
 القم سخات لبيلى على الناس مثل ما

بلى واينى العشر والتفدح والو  
 بمدرته تجرى السنن والجر  
 وعظمه أبام اديجة والجر  
 على راب سهر فضلت يلة القم





الذى فاق بالفصاحة والنظام على كل أديب وشاعر ، وكان قد عشق. جارية في هذه الايام يقال لها ليلى بنت المهدي بن عصام وتعلق قلبه بحبها وهام ، وهجر الاهل والاحباب وقصد البرارى والهضاب ، واختار القفار وطنا واتخذها لنفسه سكنا ، فقال نون : قد كنت أحب أن أنظر هذا الرجل والقاد وأحظى برؤياه لأنى سمعت كثيرا عنه فكيف لي بالدنومنه قال أذكر له ليلى فإذا ذكرتها أفاق وصفا خاطره وراق ، وأنشدك من أشعاره البديعة ما لم يسبقه إليه أحد من شعراء عصره وروبيعة . فعند ذلك تقدم نوفل إليه وسأله عليه ، وقال له بحياة نيساب التي هي عنك أعظم من كل شيء شنف بنفائس أشعارك أذن لا يهقد . لعنى ، أأنتك أسبح ناس كلاما رأجو دهم شعرا ونظاما ، فيكى قيس رتمسل لما سمع كلام نون . وأنشد من نواد متبول القصيدة التي قالها في التدبين :

وأيام لا نختى على اللهو زاهيا  
بليلى نلماني وما كنت لاهيا  
بذات الغضى تزحى المطى التراجيا  
لذى سواد الليل فردا يمانيا  
علسا تسامى ضروها فبدانيا  
وليت الغضى ماشى الركاب ليايا  
إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا  
خليليا إذا أنزوت دمعى بكى ليا  
ولا أشد الأشعار إلا تداويا  
بظمان كل الظن أن لا تلاقيا  
وجدنا طوال الدهر المحب شافيا  
نرد علينا بالعشى الموشيا

(٣ - مخنون ليلى)

تذكرت ليلى والسنين الخوالي  
ويوم كنهان لريح قصرت ذوالي  
بتمدين لاحت نار ليلى ومجنتى  
فقال بصبر الترم تحت كبريا  
فقلت له بل نار ليلى ترقبت  
فليت ركاب لقوم لم تقطع الغضى  
فيا ليل كم من حاجة لى سمعة  
خليلي أن لا تبكبانى ألتمس  
فما أشرب الأنقاع إلا صبابة  
وقد يجمع الله الستيتين بدما  
لما الله أقواما يقولون إننا  
وعهدى بليلى وهى ذات مؤصد

فشب كينو ليلى وشب بنواينها  
إذا ما جلسا مجلساً نستلذه  
سقى الله جارات ليلي تباعدت  
ولم ينسى ليلى افتقار ولا غنى  
ولا نسوة صبغن كيداء جلعاد  
خائبي لا والله لا أملك الذي  
قضاها لغيري وابتلائي بحبها  
وخبرتماني أن تسيء منزل  
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت  
ولو أن واش بالنيامة داره  
ماذا لهم لا أحسن الله حالهم  
وقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل  
غيارب سو الحب بيني وبينها  
فما طبع النجم الذي يستدى به  
ولاسرت ميلا من دمشق ولا بدا  
ور سميت عندي لها من سمية  
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها  
بين تمسوا نيني وتمسوا بلادها  
هأند عبد الله أني أحبها  
بهي الله بالمعروف منها أخيراً  
يا أبا أميت يأم مالك  
تسبب الأبيات بين يدي

وأخرج من بين البيوت لعلى  
أراني إذا صليت يمت نحوها  
وما بي إشراك ولسكن حبا  
أحب من الأسماء ما وافق اسمها  
خليلى ليلي أكبر الحاج والمني  
لعمري لقد أبكيتني يا حمامة العقيق وأبكيت النيون البواكيا  
خليلى ما أرجو من العيش بعدما  
وتجرم ليلى ثم تزعم أنى  
فلم أر ملينا خليلى صبا  
خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى  
وإني لأستحيك أن تعرض المنى  
يقول أناس عل مجنون عامر  
بي اليأس أو دار الهيام أصابني  
إذا ما استطل الدهر يا أم مالك  
إذا اكتحات عينى بسينك لم تزل  
فأنت التي إن تئمت أشقيت عيشتى  
وأنت التي ما من صديق ولا عدو  
أمصروبة يلى عن أن أرورها  
دا سرت فى الأرض الفصاء رأيتى  
يمينا إذا كنت يمينا وإن نكنى  
رأى لأستختى رما بي نعمة  
هى اسحر إلا أن لاسحر رقية  
إذا نحن ادجنا وأنت أمام

أحدث عنك النفس بالليل خاليا  
بوجهي وإن كان المصلى ورائيا  
وعظم الجوى أعياء الطيب المداويا  
وأشبهه أو كان منه مدانيا  
فمن لى بليلى أو فمن ذالها بيا  
أرى حاجتى تشتري ولا تشتري بيا  
سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا  
أشد على رغم الأعداى تصافيا  
حليلين لا يرجون إلا تلاقيا  
بوصلك أو أن تعرضى فى المنى بيا  
يررم سنوا قلت إني لما بيا  
فيايا على لا يكن بك ما بيا  
شأن المايا القاضيات وسأيا  
بخير رحلت غمرة من سراديا  
وأنت التي إن تئمت أنعمت بالبيا  
رى نصور ما أبقيت إلا رنى بيا  
ومتخذ ديبا لها أن ترانيا  
أصانع رحلى أن يميل حيانيا  
تملا يزعى الهوى عن سميا  
أش حيانا منك يدق حيانيا  
وإني لا أتقى ه. الدهر راقدا  
كفى مضارا بذكراك هادي

ذكت نار شوق في فؤادي فأصبحت  
ألا أيها الزكبي اليمانون عرجوا  
أشائكم هل سال نعيان بعدنا  
ألا يا حمى بطن نعيان هجتما  
يا أباكماني وسط صهي و أكر  
ويا أيها قمريتان تحاوبا  
فإن أبا ستطربتما أردما  
ألا ليت شعري ر اليي وما يا  
ألا أيها اواشي بسلي ألا ترى  
أين طس الأحاب يا ام مالك  
بيارب ا صرت ليلى من اى  
والا فغصها في وادى  
على مثل ايلي يقتل المرء نفسه  
حيلي إن ضنوا بليى بقدر  
( قال الرووى ) وايا تهي قبس من سحره اهن نرفل طرفاً وتمايل عجماً  
وقال ته ذرك على هذه الألفاظ الرثمة والجانى البديعة الرقيقة ، فانها  
تشرح الخواطر والقلوب وتجيى جمود السكرت ونسلى المح على فراق  
المحبوب ، لأنك ما تركت من طرائم العزن والسائب وأنواع لمديع فى  
وصف الخيب مقالا لشاعر نبيت قول الحب صيرك إلى ما أرى ، فقال له  
لهم له وقد سالتى أكبر مما ترى وأشد يقول :

أيا حاجات الحى حين تحملوا  
ونخيمتك اللقى بمرج اللوى  
بلى الله أشكونية شقت لعصا  
بلى الله أشكونية شقت لعصا  
بلى الله أشكونية شقت لعصا  
بلى الله أشكونية شقت لعصا

بذى سلم لاجاد كن ربيع  
بلىن بلى ما إن لهر رجوع  
هى اليوم شتى وهى أمس جمع

فلو لم يهجنى الطاعنون لهاجنى  
فدا عين فاستبكين من كان ذاهوى  
لعمري إني يوم جرعاء مالك  
وما كاد قلبي بعد أيام جاوزت  
وإن انهمال الدمع ياليل كلها  
ندمت على ما كان منى نداه  
لعسرك ما شئ سمعت بذكره  
عدمك من نفس شعاع فأنى  
فقرت لى غير القريب وأشرقت  
يضعفنى حبيك حتى كأبى  
وحتى دعانى العاس أحق مائفاً  
نوائح ورق فى الديار بزقوع  
نوائح لا تجرى لهن دموع  
لعاص لأمر العاذلين مطيع  
إلى بأجوار المدى يريع  
ذكرتك يوماً خالياً لسريع  
كما ندم المغنون حين يبيع  
كبيك يأتى بغتة ويروع  
نهبك عن هدا وأنت جميع  
هاك ثنيايا ما لهن طلوع  
من الأهل والأمال التليد نزع  
وقالوا تبوع للضلال مطيع

(قال الراوى) ثم تزايدت حسراته وتصاعدت زفراته ، منهد وبكى  
وتأوه وتذكا وقال جعاباً الأصحاب وتخلي عنا الأهل والأحاب دباله من أمر  
عظيم رحمت جسم ، فقال له بوقل اعلم أبى الأبح المفضل إن دعت على  
دهه الحال فإبك هالك لا محالة تنب إلى الله وارجع إليه راعتمد فى  
مورك عليه ، يكترف عليك هذا العرض ويزيل من قلبك هذا المرض ،  
فأجده تيس قائلاً يا أحمى كيف أضيق نصبر وقد استعل قلبى من لهوى  
بجهر ، فدا الله عليك ذهب عى ودعى أفاشى العذاب وأدتهج ، وورد الخلاك  
والعجب ، لأنك كلما عزيتى وسيتى ونصحتى ازدادت هيرا محتى رقويت  
إليه رغى ثم غاب عنه الجول وأشد وقال

أبيك عنى فانى دتم صب  
تة قلبى ما ذ قد أتيح له  
صبت عى بلا الله مارحمت  
مد نرى الجسم قد ودى ، عصب  
سر سم به دى رواع رالوص  
يه ر س أهل فى الأرض دحارب

البين ربولتى والشوق يجرحنى والدار نازحة والشمل منشعب  
كيف السبيل إلى ايلي وقد حجبت عهدي بها زماناً مادونها حجب  
(وقال أيضاً)

لوسيل أهل الهوى من بعد موتهم هل فرجت عنكم مذمتكم الكرب  
لقال صادقهم أن قد بلى جسدى لتكن نار الهوى فى القلب تلتهب  
جفت مدامع عين الجسم حين بكى وإن سبب سمع عين الروح تنسكب  
(وقال أيضاً)

وقائرا ل تشاء سلوت عنها فقلت لهم فإني لا أشاء  
وكيف وحبها علق بقلبي كما علق بأرشية دلاء  
لها حب تشأ فى فؤادى فليس له وإن زجر انتراء  
وعاذلة تقطعنى ملاماً وفى زجر الموازل لى بلاء  
(وقال أيضاً)

من الغواني قتت دشائها ياليت من جبل الصباية ذاقها  
فى صدغهن عقارب يالسمعنا ما من لسعن بواجد ترياقها  
إن الشقاء عناق كل خريدو كالخير زائه لا تمل عماقها  
بيض تشبه الحقائق ثديها من عاجه حكى الثدى حقائقها  
يدعى الحروب جلودهن وإنما يكسين من حلال الحرير رقاقها  
زانت روادنها دقاق خصورها إلى أحب من الخصور دقاقها  
من اتى طرف الرجال خياضاً ما كنت زارها ولا طرفها

(ناب رأى) فتجب لرب من سرعة يديته عذوبة ألسنها وقوة  
عضتها كأن تال ليدى راحة أمتة نايه ، فقال له أيها الحبيب والله أعر  
المليح منه من عبي ويضفه ليدى أن أراك فى هذه الحال تقامى السذاب والذكال  
فمن مات ن تدير سى لك نرانيا وأنا زوجك ببعض البنات الأكار من

هي احسن واحلى من ابنة عمك ليلى ، فلما سمع كلامه جمدت عيناه ونظمت  
بلاياه ، وقال لا سمعك ، قولك أبداً ولا تركت ليلى على طول المدى ، فعند ذلك  
تركة ومدار ربي قيس يهيم في السهول والأوعار ، ينشد الأشعار ويتقوت  
بقبات المعار يقامى المشقات والأخطار .

( قال الراوى ) وكانت ليلى منذ تزوجت لا تنشف لها دمة ولا تبرد  
لها لوعة وذلك لخوفها على قيس ووجودها به لأنها كانت مشغوفة بحبه وكان  
لا يقرب لها قرار ولا يطاوعها اضطبار بل كانت تبكى في الليل والنهار بدموع  
غزار إلى أن فاردم قلبها من فرط عشقها وحبها ، ولما طال عليها الحال  
أنشدت تقول من فؤاد متبول :

إذا هدأت رجلى بدأت بذكره      وأحلم في نومي به وأعيش  
إذا ذكر المجنون زالت بذكره      قوى النفس أوكاد الفؤاد يطيش -  
ووالله ما زال الفؤاد يحنه      وإن كان صدرى من حواه يحيش

قال البيد بن عبسة - ثنى بعض الرواة أنه قيل لليلى العامرية رأت  
أن لم تنته عن ذكره لنقتلنكما معا ، فبعثت إلى القائل على يد مولاها بها  
رقعة مكتوباً فيها .

توعدنى قومي بقتلى وقتله      فقلت اذنبونى واتركوه من الذنب  
ولا تبعوه بعد قتلى ذلة      كفى بالذى يلقاه من سورة الحب

( قال الراوى ) نعم استدعت بغلام من أهل الحى الذى كانت تعتم  
فيه فى كل شىء وكتبت إلى قيس مع ذلك الغلام تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
أبى يا ابن أعم وفك الله من عافيتك خير أعم أ ، قد أوحشى مررت  
بأبى الله ، ذلك ، وقد سر عوى ، إن رأنا مواذيت على لأحران لا يرى ذريتنا  
نفر ولا نرر المستهين ، إله ن ضاق صدرى رأت صدرى وترت على

الاسقام من كثرة البكاء وقلة الأكل والطعام ، ولا شك بأن حياتي في هذه الدنيا صارت قصيرة وأيام إقامتي بسيرة حيث لم يعد لي صبر على الفراق وقد اكتوى قلبي بنيران الاشتياق ، وما بقي في الأمر إلا التسليم والانقياد على ما قدره علينا رب العباد ، وختمت كلاماً بهذه الآيات :

قد كنت حاذرة للدمر عارفة      أن سوف يطلبني بالرمي مذتقداً  
حتى رماني بمن قد جل عن صفتي      فما أرى لي به ويلي الغداة يداً  
لقت الدواق بماء العين ثم به      كتبت ما يكتب المجهود إذ جهداً  
هذا الرداع لمن روعى الفداء له      قد خفت ألا أراه بعده أبداً

ثم إنها أمرت ذلك الشاب أن يسير في طلبه في البراري والهضاب وانها بانتظار الجواب فامتثل وسار وقصد الروابي والتعالي ولا زال يطلبه في جوانب البر حتى التقى به في يوم شديد الحر قد انجأ إلى كهف جبل عظيم بالقرب من ديار بني تميم وهو مستنق على ظهره وغارق في بحار فكره ينشد ويقول :

أحن إلى ليلى وإن تطعت السموات      بريني كما حن البراع المنقب  
يقولون لبني عذبتك بحبها      ألا حبذا ذاك الحبيب المعذب

( قال الراوي ) فدنا منه ليعلم رحياءه بالسلام ولا لطفه بالكلام ، وقال له أيها الشاب الظريف والأديب اللطيف ، إن محبوبتك ليلى تسم عليك وقد أرسلتني بكتاب إليك ، فيه ما يسر خاطر ويشرح القلوب والنواظر ، فلما ذكرت له ليلى رجس عقله إليه واستوى جانساً على قدميه ، وتناول الكتاب وقرأ ، ووقف على فخواه وطرب وتهد وكفكف ذموعه وأشد :

ذو جوارح منها الكائنات بعينه      خلوت بنفسي حيث كنت من الأرض  
لبيكي بنفسي رحمة من جهاتها      وبيكي من الهجران بعضي على بعضي  
وأي لآهراً ديامسياً رحماً      وأنفسي على نفسي لها بالذي تقضى  
شئت روحاً لآهناً في      وحتى في أيام منخطك لا تقضى



ثم أجابها على كتابها يقول : من قيس بن الملوح الهائم الوامق والحبيب الصادق ، إلى سيدة الملاح وكوكب الصباح ، درة الصدف وياقوتة الشرف ، من قد اتصفت بالمحاسن البهية والصفات العلية والآداب السنية ليلي العامرية إنني بينما كنت متشوقاً إلى استماع أخبارك واستكشاف آثارك ، ولفظك وحالك ومشاهدة أنوار جمالك ، إذ ورد إلى عزيز رسالتك الموسومة بسماء المحبة المسفرة عن ازدياد الصحبة والصدافة ، فتلقاها القلب بالفرح وزال عنه الغم وانشرح غير أنه لا يخفك ما أنا فيه من الكدر والقلق والضجر وكثرة البكاء والسهر ، وكيف إنني تركت الوطن المألوف وانفردت في الروابي والكهوف ، أهيم مع الوحوش والغزلان وأنتقل من مكان إلى مكان ، وحيداً عرباناً ذليلاً مهاناً أقاسى شراً وأحزاناً لا يستقيم لي حال ولا يرتاح لي بال ، حتى صرت نحيلاً كالحياك وذلك من كثرة الأشواق وتاريخ الهوى ومرارة العراق ، فقاتل الله أباك الغدار وبلاء بالويل واندمار لأنه كان سبب بلبي وطردى عن أهلي وعشيرتي وما كفاه ذلك حتى أنه زوجك برجل غريب واختار البعيد على القريب وهذا شرح ما بي من الشقاء والتعذيب . وإنني لك على طول انزمان حبيب .

( قال الراوى ) ثم تصاعدت من أنفاسه الزفرات فحتم كلامه بهذه الآيات

أيامهدى نعى الحبيب صبيحة      بمن وإلى من جثما تشيان  
بمن لو رآه عانياً لفديته      ومن لو رآنى عانياً لفدانى  
فمن مبلغ عنى الحبيب رسالة      بأن فؤادى دائم الخفتان  
وان ممنوع من النوم مدنف      وعيناي من وجد الأسى يكفان  
( وضمنه أيضاً )

وجدت الحب نيراناً تلظى      قلوب العاشقين لها وقود  
نلو كانت إذا احترقت تهانت      ولكن كلما احترقت تعود  
كأهل النار إذا نضجت جلود      أعيدت للشقاء لهم جهنم

( وضمنه أيضاً )

أما والذي أعطاك بطشاً وقوة      وصبراً وأزرى بي ونقص من بطشى  
لقد محض الله الهوى لك خالصاً      وركبه في القاب منى بلاغش  
تبرأت من كل الجسوم وحل بي      فإن مت يوماً فاطلبوه على نعشى  
سلى الليل عنى هل أذوق رقاده      وهل لضلوعى مستقر على فرشى

( وقال أيضاً )

فوادى بين أضلاعى غريب      ينادى من يجب فلا يجيب  
أحاط به الملاء فكل يوم      تقارعه الصباية والنحيب  
لقد جلب الملاء على قلبى      فقلبي مذ علمت له جلوب  
فإن تكن القلوب كمثل قلبى      فلا كانت إذا تلك القلوب

( قال الراوى ) ثم إن ذلك الشاب رجع إلى ليلى بالجواب ، وأخبرها عن قيس وأحواله وما يقاسى من وجده وبلبائه ، فتشوش خاطرها وتكدرت خمائرها وتضاعف همها وغمها ، وتحسرت على قيس ابن عمها ، فكانت تبكى عليه فى الليل والنهار وتشد رقيق الأشعار ، ودامت على ذلك مدة مديدة وأينما عديده . قال واتفق فى وقت من الأوقات أن جاريتها رأت فى بعض الطرقات صياداً معه خمسة غربان ، فاستترتهم وأتت بهم إلى سيدتها فخرجت بهم ليلى إلى خارج البيوت رجملت تضرب غرباباً غرباباً حتى يموت فتعجب زوجها وانذهل . وقال لها ما الذى أخرجك إلى هذا العمل ، فقالت أن نعيق الغراب يد على نراق الأحباب وتمزيق شمل الأصحاب ، وأن ابن عمى قيساً ذكرهم فى شعره جملة منيات ، وأمرهم أن يتدنوا على عرصات القفار وقد قال :

مر ، أجز غرابان تصايين عبوة      بينونة الأحباب دمىك سامح  
نعم سجات العيينان من بيبرة      كما سل من نظم الآلى تطارح  
لا يا غراب بين لاصحت بدمد      وأمكن من أوداج حلقك ذامح

يروغ قلوب العاشقين ذوى الهوى إذا أمنوا الشنحاج أنك صائح -  
وعد سواء الحب واتركه خالياً وكن رجلاً واجمح كما هو جامع

نآيب أن لا أقع بغير اب بعد هذا المقال إلا قتلته فى الحال ، واعلم يا هذا  
حفضك الله وهداك أن تزوجى إياك لم يكن رغبة فى جمالك ولا فى رفعة  
مقامك وكثرة مالك ، وقد كنت حلفت أن لا أتزوج بعد قيس أبداً ولو مت  
شوقاً وكذا لأنه صاحبي ومعتدى وقرة عيني ومهجة كبدي ، وحببه لا ينتزع  
من قلبي وجسدي ، وليس فى ذلك من عار ولا عيب ولا شئ ، لأن محبتي له لم  
تكن صادرة إلا عن نية صالحة وطوية طيبة ذكية الراجعة ، ولكن كتب  
عبد الملك بن مروان يأمر أبى بتزويجى .

فكان الأمر ولكنى سأصبر على ما رقه القلم وأثبتته الله حيث حكم .  
فلما سمع زوجها ذلك الخطاب اشتبه من كلامها ووقع فى اضطراب وأخفته  
الغيرة وداخله الشك والارتباب ، وتغيرت نيته وتقدم ضميره بالسوء إليها ،  
ثم انه ذهب إلى أبيها فى الحال وقص عليه ما سمعه منها من الماتل : فجل ذلك  
الحديث عند سماعه هذا الحديث ، واضطرب جسمه وارتجف ، وقال له لا  
تخف ، ثم أخذ يلاطفه بالحديث والكلام وأخبره بخبر قيس على التمام  
وكيف أنه حجبها عنه من سنين وأعوام وأخرج له كتاب عبد الملك بن  
مروان ، وقال له إن الخليفة يهدر دمه إن عاد واجتمع بها فى مكان وما زال  
يحدثه بمثل هذا الكلام حتى زالت عنه الشكوك والأرهام ، واشتاق إلى  
رؤية قيس ومنادمته ومال إلى معرفته ، وما زال يترقب الفرص إلى أن  
خرج ذات يوم إلى الصبد والقنصر فالتقى به وهو فى روضة خضراء بالقرب  
من الصجرأه ويقر به قطيع من الغزلان والرعول وهو ينظر إلى ظبية تمضع  
خشياً وهو ينشد ويقول :

تقد حرقنى أم خشف وأنها إذا صرع القوم الكرى تطروق

أقام فريق من أناس بودهم بذات الشرى عندي وبات فريق  
بحاجة مخزون كتيب فواده رهين بييضات الحجال صديق  
فتقدم زوج ليلى إليه وسلم عليه وأنشد يقول :

ومن عجب جنونك في فتاة مزوجة ساواك وان تراها  
أيا مجنون كم نهذى بنى---لى كأن الله لم يخلق سواها (١)  
(قال الراوى) فصاح قيس من شدة الرجد والوسواس ، وسأل عنه  
بعض الناس ، فقيل له هو بعن لى "أى تحبها وترغب قربها ، نخر مغشياً عليه  
ثم أفاق فأنشد يقول :

بربك هل ضمنت إليك لى قبيل الصبح أو قبلت فاها  
وهل روت عليك قرون لى رفيف الأبحوانة فى نداها (٢)

فصحك زوج لى وتبسم ، وقال اللهم إى حلمنى فنعم ، فلما سمع قيس  
مه ذلك المقال اضطرب فواده وقبض بكلتا يديه قبضتين من الحجر ، فما  
فارقهما حتى سقط مغشياً عليه . وسقط الحجر مع لحم راحتيه ، وعض على  
شفتيه فقطعها فقدم زوج لى مغموماً متعجباً منه .

(قال راوى) وقد تكدر زوج لى وأشوش خاطره وتعكر ، وقال  
له احذر يا قيس من غفلات الزمان وسطوات الأعدوان فإن أمير المؤمنين  
عبد الملك بن مروان قد يهر دمك مرة ثانية إن كنت لا تنتهى عن ذكر  
هذه الجارية لأنك فضحتها فى الأشعار ، وهتكها فى سائر الأقطار ، وقد  
أعلمت بحقيقة الخبر فكن من ذلك على حذر . فزاد بقيس القلق وانضجر  
وقاسر دمه على تحية وانحدر ، وقال له والله إنه منذ ثلاثة أيام بينما كنت  
طرف فى بعض الآكام زارنى حُثْران وقال لى وحق الملك النديان لقد

(١) هكذا لأصل ولم يحدثها والديوان  
(٢) دَرَهْ أَوْ بَرَحْ وَأَعْيَاهُ ص ٤٤ - ٢٠

لقد قضى الرحمن بانتقضاء أيام عبد الملك بن مروان ثم أطرق ملياً وأقام مدة لا يتكلم شيئاً ثم أمعن فيه النظر وأجال قداح الفكر، وقال أقسم بجامع الشتات ومخرج النبات، أنها سوف تصلكم الأخبار أنه قد مات، فاندھش زوج ليلى من كلامه، وارتد راجعاً إلى خيامه، وما مضى أكثر من ثلاثه أيام بعد ذلك الكلام، حتى شاع الخبر موت عبد الملك في قبائل العربان فتهجى زوج ليلى من ذلك الاتفاق الغريب والامر العجيب.

( قال الرورى ) ركن أبو نيس لا يطيب له عيش ولا يربح له بال خوفاً على ولده من الهلاك والوبال، لأنه كان عالماً بحال الذى هو فيه والشتاء الذى كان يؤلمه ويرذيه، فخرج من طائفة ذات يوم مع جماعة من القوم من الزواجر يطعمون سبيل روادكم بقتلته أيام وثى اليوم الرابع اتقوا به وهو على الرما جالساً وقد أشرق برأسه إلى لارض عابساً، فبكى أبرة وتراسى عايه رقبته بن عينييه وقال له يا ولدى وسهجة كسى إلى متى وأنت فى هذه الحال تتأسر النساء والأموال والمشقة والإدلال، بعد ذلك الجاه وبدلال، ما من عمالك رحمت وأدبك وبهك، فقد كسفت مادهاك، فقم يا الآن نرجع إلى الأوطان، فإن الذى أنت فيه إنى، من عمل الشيطان، فاحرره من رتت برحن، فقال إلى ناسح ولأمرك طابع إلا فى هذا الشأن خارج عن حد لإمكان، ثم مضت تبياه بالبؤسوع وأشد من مواد مصدرع:

الله يعلم أن النفس هالكة      بالياس منك ولكنى أعنيها  
منيتك النفس حتى قد أضربها      واستيقنت خلفاً مما أمنيا  
وساعة منك أهوها وإن قصرت      أشهى إلى من الدنيا وما فيها (١)  
قال له أوه اذكر الله فى نفسك فى حلول رمسك، فقال قد صدقت  
وبالحق نطقت وأشد بقول:

دعوت إلهي دعوة ما جاليتها  
 لأن كنت تهدي برد أنيابها العلا  
 وقد شاعت الأخبار أن قد تزوجت  
 وربي بما تخفي الصدور بصير  
 لأففر مني . إنني أنفـير  
 فهل يأتيني بالطلاق بشير  
 ﴿ وقال أيضاً ﴾

ألا تلك ليبي العامرية أصحت  
 هم حسوهم محاس السن وابتعى  
 إذا انتفت والعيس صعر من البري  
 تطع إلا من ثقيف جبالها  
 بها المال أقوام ألا قل مالها  
 بنخله جلت عبرة العين حالها  
 ﴿ وقال أيضاً ﴾

عفا الله عن ليبي وإن سفكت دمي  
 عليها ولا مبد لليلي شكاية  
 يقولون تب عن ذكر ليبي رحبها  
 ( قال الراوي ) ثم إياه تركهم  
 وذهب ونبط في دلك البر راغب وما  
 زال يجرول من مكان إلى مكان حتى وصل إلى جبل يفاله ثوبان وكان كثيراً  
 ما يجتمع ليبي في دلت المكان ، فما رآه تذكر أيام الصبا وتجددت عليه  
 المموم والأحزاب وأنشد وقال :

وأجهت للثوبان حتى رأيت  
 وأذريت دمع العين لما رأيت  
 فقلت له أين الذين عهدتم  
 فقال ضوا وأستودعوني بلادهم  
 وإي ما بكى الوء من حذري عدأ  
 سجاراً وبهاتاً ووبلاً وديمة  
 ثم به سكي من فواد مجروح . وإذا به يسمع صوت حمامة نندب إليها  
 وتروح فالسد :

لقد هتف في جنح ليلي حمامة  
فقلت اعتذار - ند ذلك وإني  
أزعم أني عاشق ذو صابنة  
كذبت ويبت الله لو كنت عاشقاً

(وقال أيضاً)

أيا جبل الثلج الذي في ظلاله  
غزالان شبا في نعيم وغمطه  
أرغتهما ختلا فلم أستطعهما  
خليلي أم، أم عمرو فنهما  
فما صاديات حن يوماً وليلة  
يرين حمام الاله الموت دونه  
بأكثر مني حسرة وصداة  
خايلي من ميت و مكلم  
أقل حاجتي وحدى يبارب حاجة  
وأن أحق المس مني تحبته  
ومن قادني الموت حتى إذا صفت ،  
ثم إنه ترك المكان وقصد الروابي والكثبان وهو يسد الأشعر حسبان  
زبيم مع النوحوش - العرلان .

وانهق أن رجلا من بني أسد حرج ذات يوم من الثدر طاماً إلى ربي  
والقفار وكان ذلك في عام أسهب أمسكت أسماء بيه مطرها و"لأرض نبتة .  
فرحل "فته وركب الخاصب والداول ، تردهه رص وتحمصه أخرى  
قال الرجل وما رات أقمطع نسبور والأوعار ، حتى صيرت في مديني  
حقيقة رفعت في روعة مفسية كثيرة الأنوار رابون ، حين والأزهار ، عنتي  
نفسى إلى الإلغام بها وودت أن أقيم فيها وأتره في بعض واحبها منات في

أرجاء تلك الأزاهير المونقة والأنوار البديعة المورقة ، وأنخت ناقى إلى  
قنوان شجرة صغيرة وجلست سنية ، فبينما أنا كذلك أنامل في تلك الروضة  
والمروج الطويلة العريضة إذ سقط رجل من جراد كثيره الاعداد على ذلك  
الواد فاهترشت جنباتها وأرضها وأخذت طولها وعرضها . فظلت متمجبا  
عما أرى .

ثم رميت نظري في فراحيها ، فإذا أنا بشخص أقبل من صدر البرية  
ناحل الجسم عار من اللحم ، وما على جسده غير شعر منسدل على صدره ،  
وزغبان على عكبة ، فرأيت منه ردة متعارتني خرقاً ووجلاً وخشيت  
أن أكون على شرف الهلاك ، وما شككت أنه شيطان مرد فلما دنا مني  
أنشد يقول :

حب ابننا بك يا جراد أرض وإن جاءت بك الأكباد  
برساقم لأصدار ولأوراد ~~يا~~ ~~يكن~~ ~~من~~ ~~لنا~~ ~~دناد~~  
ولا لابناء السبيل الزاد

فقلت له زنى أنت أم جنى ؟ زائماً يقول :

إليك عنى فإني هاتم صب أمارى الجسم فدأودى به اعطب  
((وقل أيضاً))

في قلب مت حزناً ولاتك جازعاً  
هويت فتاة كالغزاة وجهها  
ولى كبد حرى وقلب معذب  
وآية وجد الصب تهطل دمه  
على ما تطوى من رجده فى ضميره  
فيأبست أن الدهر جاد برجوة  
إليك فعز النفس واستشعر الأسمى  
بأن جزوع القوم ليس بخالد  
وكالشمس يسبي دلهما كل عابد  
ودمع حثيث فى الهوى غير جامد  
ودمع شجى الصب أعدل شاهد  
عنى الآسات الناعمت الخرائد  
وهيهات أن الدهر ليس بعائد  
فبك ينمى زائداً غير بائد



وقد شجعت ليلى وشط مزارها      وغيرها عن عهدا قول حاسد  
فيا أسفا حثام قلبي معذب      إلى الله أشكو طول هذي الشدائد  
قال الرجل ثم خر مشياً عليه ، فبادرت إلى الماء ونضجت على وجهه  
فأفاق بعد حين ثم تنفس الصعداء فأنشأ يقول :

بلاى لو بهمت بسطت عندي إذا ما أثقلب عاوده نزوع      بها الحين المباح لمن بغاد  
وجرع للغريب به مريع      إلى أهل الكرام تشاق نفسي فهل يوماً إلى وطى أريع  
قال الرجل فتعجب من شدة عشقه وغرامه ورقة شعره وعذوبة كلامه  
فقلت له : ويحك يا أخا العرب وسيد أهل الفصاحة والأدب إلى أراك في  
عذاب أليم وخطر عظيم وحال سقيم ، ولا شك أن هذا البلاء الذي أنت  
فيه والعناء الذي أنت تقاسيه ناتج من هواجس رديئة ورساوس شبيهة النية  
فيادر الآن واستعمل فكرك الرزين وتب إلى رب العالمين فهو يكشف عنك  
هذا الداء الدنين لأنه سميع مجيب ، ومن اتكل عليه فلا يخيب ، فلما سمع كلامي  
بكى من عظم جواه حتى ترازات أركان أعظامه وأنشد يقول :

يحيشون في ليلى على وإأز      من انزل من يبلى حراماً وإاحلا  
سوى أن حباً لو يشاء أقالها      وأر تبغى ظلالاً كان لها ظلالا  
إلا حبذا أطلال ليلى على "هلي      وما نذات من نوال وإن تلالا  
فما يتأدى الهدى إلا تجددت      موردتها عندي وإن زعمت أن لا

فقلت له : ويحك استشعر "صبر" واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب .  
واعلم أنك لا تصل إلى الحبيب إلا بالستر ونفيك "شبهة" . فإن التهمتك يتطعم  
موارد الغبطة ، وليس للمبتوك ألفة والمستور طويل مسة "عجبة" ، فقال :

لقد هم قيس أن يزوج بنفسه      ويرى بها من نروة الجبل الصعب  
فلا غرو أن الحب للدم قاتل      يقابه ما شاء حباً إلى جنب  
أناخ هوى ليلى به فإذا به      وسن ذايطبق أصدر عن محل الحب  
فيسقيه كأس الموت قبل أوانه      ويورده قبل الثمات إلى الثرب

قال فأنقسمت عليه أن ينشدني أحسن ما قاله في وصف الحاجر والنهود  
والأطراف والحدود فأنشأ يقول :

لبي أصبو بالعشى وبالضحى	إلى خرد ليست بسود ولا عسل
معه الأطراف هيف بطونها	كواعب تمشي مشية الخيل في الوحل
وأعناقها أعناق غزلان رملة	وأعينها من أعين البقر النجل
وأثلاثها العتيا كأن فروعها	وأثلاثها الوسطى كتيب من الرمل
وأثلاثها السغلى براذى ساحل	عناقيد تغذى بالدهان وبالعسل
وترى فتصطاد القلوب عيونها	وأطرافها ما تحسن الرمي بالنبل
ورعن الهوى في القلب ثم سقىنه	ضبابات ماء الشوق بالأعين النجل
وعايب ما صدن القلوب وإنما	النبل ريشت بالفتور وبالكحل
تقيم دماء الماشقين مطلة	بلا قود عند الحسان ولا عقل
ويقتلن أبناء الصباة عنوة	أما في الهوى يارب من حكم عدل

فقلت هل لك من مزيد أيها الشاعر المجيد؟ فقال نعم وأنشد:

ومفروشة الحديد ورداً مضرجاً	إذا جشته العين عاد بنفسجاً
شكوت إليها طول ليلي بعبرة	فأبدت لنا بالغنج درأ مفلجاً
فقلت لها مني على بقلة	أداوى بها قلبي فقالت تغنجاً
يليت بردف لست أستطيع حله	يجاذب أعضائي إذا ما ترجرجاً

قال الرجل ثم قطع شعره وذهب وطلب الهزيمة والهرب ، فأنذهلت من أمره ونهضت مسرعاً في أثره طالباً الزيادة من شعره ، فلم أدركه إلا بعد الجهد وقد تعلق بحبال نجد فرجعت عنه وقد تعجبت منه .

وحدث رجل آخر من بني كنانة وهو من أهل الصدق والأمانة ، قال خرجت في بعض الأسفار أطوى القياقي والقفار والسمول والأوعار ، فأتته في المسير إلى غدبر كبير كأنه البحر المستدير فرأيت في بعض نواحيه جارية كأنها البدر انتمت وفي يدها بردة وقصعة مملوءة بالطعام ، فتقدمت إليها وسلمت عليها فردت علي السلام بأفصح كلام فبينما أنا أتأمل فيها وأنظر إلى حسن معانيها إذ أقبلت عانة من الغزلان طالبة الماء من ذلك المكان ، وفي أوائها رجل عريان وهو نحيف الجسم كتيب النفس قد اسود جنده من تجمح البرد وحر الشمس فأومأت الجارية إليه وصاحت عليه وأنشدت تقول :

وخبرني ان نيل منزله ليلي إذا ما الصيف التي المراسيا  
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترعى بلي المراسيا  
فلا سمح كلامها تقدم إليها حتى صار أمامها فألقت نفسها عليه وقبله  
وأعطته البردة فأخذها وستر عورته ثم تناولته الطعام، فجلس وأكل وهو يبكي  
ويتململ، قال الرجل فتعجبت من ذلك غاية العجب، والتفت إلى الجارية  
وقلت لها يا حرة العرب من يكون هذا الغلام وماذا جرى عليه من الأحكام  
لاني أرى صفته غريبة وحالته رديئة كئيبة، فقالت هذا والله يا أخي، شقيق  
ومهجة فؤادي وكبدى وما كانت هذه الصفة صفته ولا هذه الحالة حالته  
وإنما كان وحيد عصره ونتيجة دهره، مشكور السيرة طاهر السريرة فصيح  
الكلام رفيع المقام محبوباً من الخاص والعام، وقد اشتهر بالكرم وعلو  
الهمم ومكارم الأخلاق والشيم، وانتشر صيته بين العرب والعجم، واتفق  
أنه عشق جارية فافتتن بها وهام، وتواترت عليه الأسقام من كثرة الحزن  
وقلة الأكل والمنام، حتى انتحل جسمه واعتراه الجنون ومضى عليه مثل  
ذلك سنون، وهو يهيم مع الوحوش في البراري والحضاب ولا يقرب له قرارة  
ولا يلتفت إلى خطاب، إذا ذكرت له زالت عنه الوحشة وعاد عقله إليه وذهبت  
عن قلبه الرعشة قال الرجل ولما انتهت من كلامها التفت إلى المجنون، وقال  
أيها الرجل المسافر إلى أين أنت سائر، وإلى أية حلة تقصد من حلال العشائر،  
فقلت له مرادى أن أسير إلى حى بنى عامر أهل المكارم والمفاخر، قال بالله  
عليك متى إلى تلك المنازل والأعلام أقرىء ليلي منى كثير السلام، وأعلمها  
بحالى وما شاهدت من أحوالى وبلغها عنى هذه الآيات وأنشد يقول :

أرى الناس أمان تجدد وصله فخت وأما من خلا فسمين  
تخبرنى الأحلام إلى أراكم فيالبت أحلام المنام يقين  
شهدت بأنى لم أؤخك مودة وإنى بكم حتى الميات ضنين  
وإن فؤادى لا يلين إلى هوى سواك وإن قالوا بلى سيلين  
ثم وثب قائماً على قدميه وأرخى البردة عن منكبيه وصاح صيحة قوية  
وذهب مع وحوش البرية، فجعلت أخته تبكى وتلطم خدودها وتعض من

شدة الأربف زودها ، وبكيت أيضاً على صباه وعلى ما أصابه ودهاه ثم ودعتها  
وجديت في قطع المضاب حتى وصلت إلى بني الحريش قبل الغياب ، فقصدت  
إلى مضرب كبير وقد حدثني نفسي أنه بيت الأمير ، فلما ذنوت منه وقفت  
متفكراً وفي هذا الأمر متحيراً ، وإذ قد أقبلت على عجوز من ذلك البيت  
فقلت من أنت ومن أين أنت فقلت إني رجل غريب أتيت هذه القبيلة  
لأجل ليلى خليعة المجنون العاشق المفتون وقد حملني لها سلاماً وشعراً وكلاماً  
فهل لك أن تدليني عليها وترشدني إليها ، فلما سمعت كلامي قالت أبشر يا وجه  
العرب بلوغ الأرب ثم إنها غابت وجاءت بجارية بدیعة الجمال كأنها الهلال  
مسرولة بثوب من الخريز الأحمر وفي عنقها عقد من نفيس الجواهر ، يدهش  
البصر وعيناها تذرِف الدموع وهي تبكي من فؤاد موجدوع ، فتقدمت إلى  
وسلمت علي ، وقالت لي أيها الصديق قد بلغني أنك قد لقيت قيساً في الطريق  
فحملك كلاماً تقول له لي فأني هي ليلى المشتومة عليه والمشتاقة إليه . فبالله عليك  
حدثني بحديثه وما كان من أمره ، فأشدتها ما سمعت من شعره فصارت تبكي  
وتلطم خدودها وتعض من الأسف على زودها ، هذا ، والعجوز تلطف  
بمخاطرها وتضمها إلى صدرها وتقبلها في وجهها ونحرها ، وقد احتارت في  
أمرها ، ثم انفتحت إلى بعد حين وتهدت من قلب حزين . وقالت يا صاحب  
الحمة العلية وكاشف الغمة والبالية إذا اجتمعت به مرة أخرى في البرية أهده  
بني جزيل النحية وأنتهده هذه الأبيات :

الأبيات تمرى والخطوب كثيرة متى رحل قيس مستقل فراجع  
ببفسى من لا يستقل برحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع  
قال ثم إنها أضافتني وترحبت بي وأكرهتني فأفتت عندها ثلاثة أيام في عز  
ولا كراه ثم استأذنت وانصرفت من حيث أتيت وتدهت عجب ما سمعت ورأيت .  
( قال لراوى ) وكانت بيني لا نستطيع بطعام ولا شربة بمنام بل تقضى ليلى  
الطويل . الركاء والتعويل ، وتخاصب نفسها باللاماة ونعفس على يدية . سفا  
ونداية . حتى زال نشاطها وحال . رتمكن منها مرض والبالبال . وفي كل يوم  
رداءة يه الألام حتى أقصع صوتها عن الكلام ، وشربت كأس الحمام فكفنها

أهلها وواروها التراب واكثر واعليها الانتحاب ومزقوا ما عليهم من الثياب .  
( قال الراوى ) فينما كان يطوف من مكان إلى مكان وهو كثير الهموم  
والأحزان إذ مر به فارسان فنعياها إليه وقالا قد حكم الله عليها بالموت  
وهو كأس ليس لأحد منه فوت ، لم يسلم منه ملك شديد ولا جبار عنيد ، فعز  
نفسك الآن وتب إلى العزيز الرحمن ، واستقبل الأحكام بالرضى واستسلم  
لموارد القضا وقابل عوارض المحن والضير بما قاله كعب بن زهير :  
كل ابن أثنى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول  
قال فلما سمع منهما ذلك الخطاب أظهر الكتاب واستعظم المصاب ،  
وأخذته الرعدة والاضطراب وغلب عن الصواب وعلا زهيره وشهيقه حتى  
رق له عدوه وصديقه وأنشد يقول :

أيانا عي ليلي بجانب هضبة أما كان يسعاها إلى سواكا ويانا عي ليلي بجانب هضبة  
لن بعد ليلي لأمرت قواكا ويانا عي ايلي لقد هجتنا لنا تسارح نوح في الديار كلاكما  
نلاعشتما إلا حليفي مصيبة ولا متما حتى يطول بلاكا وأسلمت الأيام فيها عجائباً  
موتسكا أنى أحب رداكا أظسكا لا تعلمان مصيتي لقد حل بين الوصل فيما أراكا  
ثم مضى حتى دخل الحى وهو فى غم شديد وحزن ما عليه من مزب بعد  
أن كان لا يمر به إلا من بعيد فأنى أهل بيتها فعزاهم وعزوه ، فقال ذووفى على  
قبرها فدلوه ، فلما رآه عظم مصابه ررمى بنفسه عليه . والتزمه من شدة  
عشقه وجواه وضمه إلى صدره وقد حار فى أمره وأنشأ يقول :

أيا قبر ليلي لو شهدتك أعولت عليك نساء من صبيح ومن عجم  
ويا قبر ليلي أكرس حليب يكن لك ما عشتنا عابها به ،  
ويا قبر ليلي أن ايلي عريفة بأرضك لا خال لديها ولا سم  
ويا قبر ليلي ما تصممت قبها سبيها ليلي دأ عتاب وداكر  
ويا قبر ليلي غابت ايوم أديا وشخاتها والحامون لها لينة

قال : ثم إنه كان بأرى إلى قبر ابي ويدور نهاره وهو يرتبها بأسر حتى  
جف جسده على عظمه . وضعفت قوته واشتدت بايته . ثم إن رجلاً  
ملاياً أحب لقاها را بنظر زويه وإلى ناحية فعد ، قال انرحن مخرجت

أطلبه في البراري بعد أن أرشدني أهله عليه وقد أفهموني بأن أفشده بعض  
شعر قيس بن ذريح وذلك ذريعة الدنو منه إلى أن لقيته قاعداً يلعب بالتراب ،  
فسلمت عليه وجلست منه بمكان قريب ورد علي السلام فقلت له يا صاحب  
الوجه المليح والكلام الفصيح ما أحسن قول قيس بن ذريح حيث يقول :

وَأني لَمفن دمع عيني بالبكا حذاراً لما قد كان أو هو كأن  
وما كنت أخشى أن تكون منيتي ، بكفي إلا أن ما حان حائن  
وقالوا غداً أو بعد ذلك بلية فراق حبيب بان أو هو بان  
قال : فبكي بكاء شديداً وسالت دموعه على خده وأنشأ يقول :

هو لم تره الغانيات صميم  
فزالت بيوت الحى وهو مقيم  
يمت ويعش ما عاش وهو سقيم  
وعن بللات الماء وهو يحوم  
دهوعى فأى الجازعين ألوم  
أم آخر يبكي شجوه ويهجم  
إلى الله فقد أوالدين يتيم  
أسير ونقد لوالدين عظيم  
وقلى بمم قد أجن بهجم  
كل أن بين الهالكات سقيم  
تبي السائر في طول الزمان دج  
وسكنه حوض لها ونهجم  
وهل فاض الغيرت دنا نفا  
كما جفت من أن أوفى  
لخبتة نالتي متى تفتت  
حقت تارت حسنة امدار تارت  
تتسبب بدهن أتمخاره ما تلمد يقربه  
فنون دور ما لهن زجر به  
أنى أيا أس دور الشوى وهو حبيب

لصفراء في قلبي من الحب شعبة  
به حل بيت الحب ثم انثنى به  
ومن يتهبض حبهن فواده  
فخران صادان يزد عن به مشرب  
بكت دارهم من نشدهم رته ملت  
أهدا الذى يبكى من الهون والبلا  
من الله أنسك حب ليلي كاشكا  
بذي جزاه الأقبون فضمه  
أفى احق بنا أن قبيل دور  
بذا ذكوت بر أن بناسرها  
على ذبا اسان إن كان حبه  
بحر نغم نغم يكم كان حبه  
(وتتلى) أوزر عقر تيرتى بوش  
نك ... ا حيثك احرى  
دست دوسى الى احرى  
دومة دومة دومة دومة  
ور ... اى ... ا ... ا ... ا  
عز ك ... ا ... ا ... ا ... ا  
وأن حنا اس دور اى فرجه

ومنيى حتى إذا ما رايتنى  
صددت وأشمتت العداة بهجرنا  
أبعد عنك النفس والنفس صبة  
مخافة أن تسعى الوشاة مظنة  
أما والذي يبلى السرائر كلها  
لقد كنت ممن تصطفى النفس خلة  
وأنى لأستحييك حتى كأنما  
تلدجن حتى يذهب اليأس بالهوى  
سأستعطف الأيام فيك لعلها  
وقال) الأهل طلوع الشمس يهدى تحية  
اتضرب ليلى إن مررت بذى الغضى  
أحل على الرجم إن قلت حبذا  
وقال) فياليت ليلى وافقت كل حجة  
فتجمعنا من نخلتين ثنية  
فألقاك عند الركن أوجانب الصفا  
فأنشدها أن نحوى لهون والهوى

وزاره الأعرابي ثانية بعد انصرافه إلى الحى وقد حدثهم بحديث قيس وما  
أنشده من شعره فوجدته على كتيب من الرمال وهو يخط بأصبعه فيه ، فدنا  
وسلم عليه وقال : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

نواكبرى وعاولدنى رواعى وكان مراق لنى كالخداع تكفىنى الوشاة فأزعجوني  
نيالله للمواشى المطاع فأصبحت الغداة ألوم نفسى على شىء وايس بمستطاع  
كفبون يعرض على يديه تين غننه بعد البياع  
إذا ما تذكرين تحى نفسى حنين الألف يضرب للبياع  
قال المجنون : بلى والله واستعر حيناً ثم قال : أنا أشعر منه حيث أقون  
ألا يا نسيم الريح حكك جائر على إذا أرضيتنى ورضيت  
سأيا نسيم الريح لو أن واحداً من الناس يليله الهوى لبليت

فلو خلط السم الزعاف بريقها      تمصصت منه نهلة ورويت  
ثم قال إن لم أكن أشعر منه في هذا فأنا أشعر منه حيث أقول :  
وعارصن بالعقبات مفلج      به الظلم لم تقل لمن غروب  
رضاب كريح المسك يجلو متونه      من الضر أو فرخ البشام قضيب  
ثم غشى عليه ، فلذا أذاق قات أحسن والله قيس بن ذريح بيث يقول :  
هبوني امراً أن تحسنوا فموسناكر      لذلك وإن لم تحسنوا فهو صافح  
فإن يك أقوام أشاروا بقتلها      فإن الذي يبني وبينك فاضح  
فقال أنا شعر منه حيث أقول :

وأدنتني حتى إذا ما فتنني      بفول يحل العصم سهل الأباطح  
تجافيت عني حين لالى حيلة      وغادرت ما غادرت بين الجوانح  
قال الأعرابي : فلما أتم هذه الأبيات ظهرت له ظبية فتعلق قلبه بها ووثب  
مسرعاً في طلبها والتفت إل وقال : السلام عليك فما أراك تراني بعد هذا  
أبدأ ، قال الهلالي : ثم رجعت إلى الحى وتد احترق قلبي بكى ، فأنشدتهم ما  
سمعتهم من شعره فكتبوه وأنجزوه ما كان من أمره ، فلما كان من الغد  
بكرت وطلبته وفتشت عليه فلم أفف له على أثر ، فأخذنى القلق والضجر  
فانصرفت إلى الحى ، حيث أسأله وأنزلتهم بأخبر . نقام إخرته ومن يلوذ  
من أهله وأقاربه فطلبناه يومنا وليلتنا فى القنار والسمول والأوعار ، فلما  
أصبحنا هبطنا إلى واد كثير الحجارة والرمل ، وإذا نحن به ملقى ميتاً ، بين  
حجرين وقد كان خط بأصبعه عند رأسه هذين البيتين :

توسد أحجار المهامه والقفر      ومات جريح القلب مندمل الصدر  
فيا ليت هذا الحب يعشق مرة      فيعلم ما يلقى المحب من الهجر  
فرثيناه وعلت أصواتنا بالبكاء والنحيب وحملناه إلى الحى فبكى عليه  
الغريب والقريب وكل صاحب وصديق ومن سماع باسمه يوماً ، وتأسف أبو ليلى  
عليه وتدم على عدم زواج بايلى غاية الندم وقالوا لله لقد قابلته بالاستخفاف  
وغاملته بغير الحق والإنصاف ، ثم تقدم إليه وضمه إلى صدره وبكى عليه  
وبعد ذلك غسلناه وكفناه ودفنناه إلى جانب قبر ليلى ، رحمها الله تعالى .  
وكان ذلك فى السنة الثمانين من الهجرة المحمدية الموافقة سبعمائة مسيحية . -